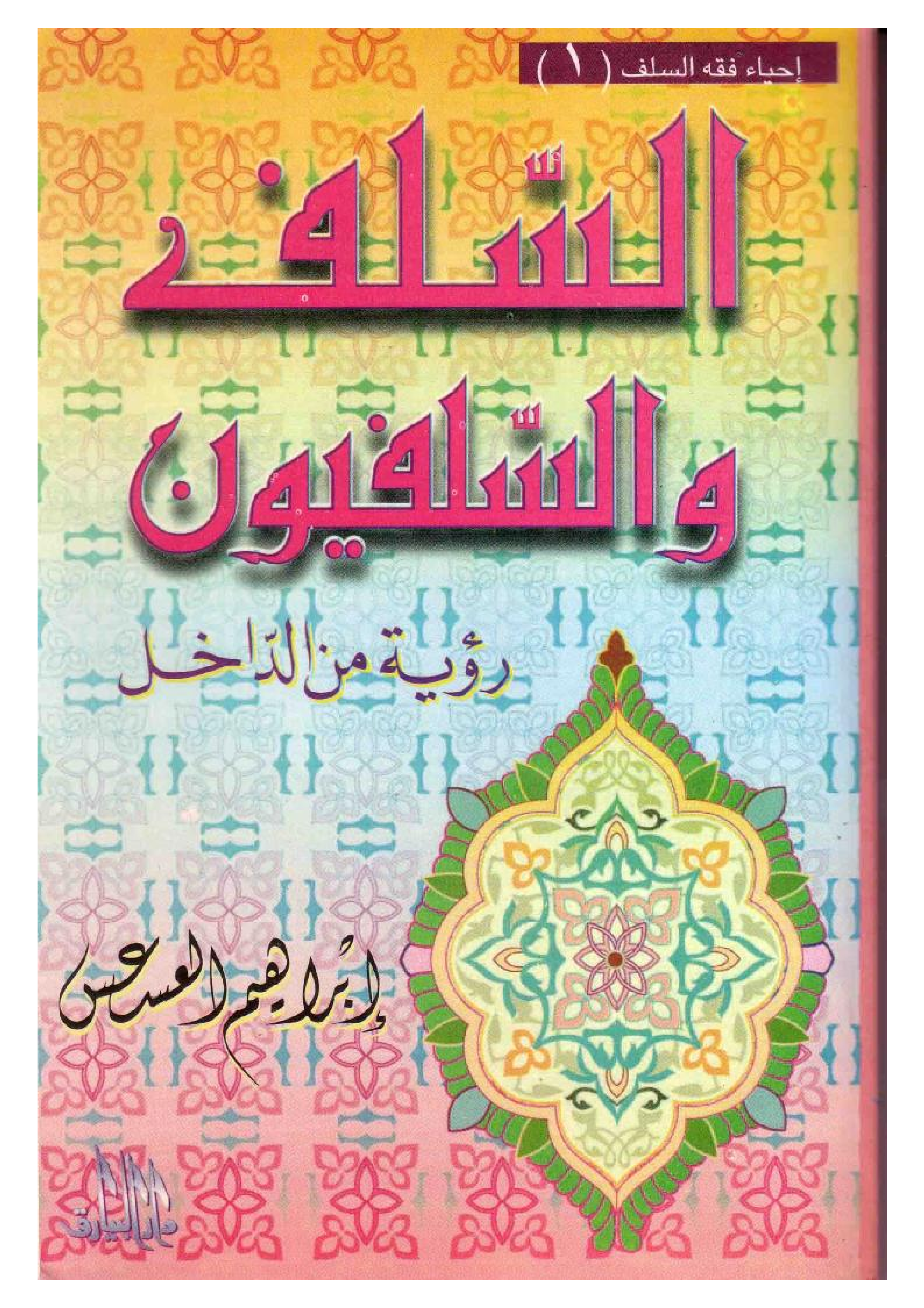

إحياء فقه السلف (١)
السلف والسلفيون
رؤية من الداخل
إبراهيم العسعس
دار البيارق

إحياء فقه السلف (١)

السلف... و «السلفيون»

«رؤية من الداخل»

إبراهيم العسعس

دار البيارق

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضلّ له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله .

﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتنّ إلاّ وأنتم مسلمون﴾ ، ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبثّ منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إنّ الله كان عليكم رقيباً﴾ ، ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أمّا بعد ، فإنّ أصدق الحديث كتاب الله ، وأحسن الهَدْي هدي محمد ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار .

مقدمة الطبعة الثانية

الحمد لله الذي بنعمته تتمُّ الصالحات ، والصلاة والسلام على خير البشر .

أما بعد . . .

فها هي الطبعة الثانية من هذا الكتاب ، بعد أن نفدت الطبعة الأولى ، وكثر الطلب بفضل الله وكرمه وتوفيقه .

وقد لاقى الكتاب تجاوباً حيث وصل . ولا أعني بالتجاوب الموافقة على ما فيه ، أو على بعض ما فيه ، وإنّما أعني به حصول التفاعل مع الكتاب إنْ رفضاً وإن موافقةً ، مما يدلُّ على أنّه قد ملأ فراغاً ، وحرّك ساكناً ، وهذا شيءٌ أعدُّه نجاحاً ، والفضل لله أولاً وآخراً .

تختلف هذه الطبعة عن سابقتها ، بتصحيح الخطأ ،

شكلاً ومضموناً ، وإكمال النَّقص ، من إضافة بعض الكلمات والفقرات ممَّا لا بُدَّ منه ، وكلُّ ذلك كما أعتقد ، وعلى قدر اجتهادي . والله الموفق للصواب .

وهذه بعض النقاط التي رأيت ضرورة ذكرها نتيجةً للملاحظات على الطبعة الأولى :

١- اعتقد بعضُ القراء أنَّ السلسلة متخصصة في نقد الجماعات الإسلامية ، وهذا أمر لم يخطر لي على بال .

فقد صدر الجزء الثاني من السلسلة وكان بعنوان «**الأمة والسلطة باتجاه الوعي والتغيير**» .

ولم يكن البدء بالسلف ومن يدَّعي الانتساب إليهم ، إلا لأنّ هدف السلسلة بيان المعالم الرئيسة لمنهج السلف من خلال دراسة بعض القضايا . فكانت البداية المنطقية لهذا الهدف البدء بإثارة بعض المسائل المتعلقة بالمنهج من خلال النموذج الذي بات الناسُ يعتقدون أنه يُمثِّل منهج السلف ، لزلزلة هذا الاعتقاد ، وتجريد هذا النموذج من ادعائه الاختصاص بالسلف .

٢- لا يشُكُّ المطلعون على الساحة الإسلامية أنّه

ينضوي تحت شعار «السلفية» تيارات متعددة . ولكن المقصود بالكتاب تيار واحد ، استأثر «بالسلفية» مدة من الزمن ، وقد اتضحت معالم هذا التيار في أبحاث الكتاب .

وهذا لا يمنع أن يشمل النقد كلٌّ من يتخلّق بالممارسات المُنتَقَدة ممن ينتسب إلى التيارات الأخرى ، أو حتى الجماعات الأخرى . فإنّ المقصود بالنّقد هي الأنماط الفكرية والسلوكية ، سواء أخذت هذا اللّقب أو ذاك . إنّها أمراض منتشرة في الأمّة ، والكلُّ -إلا قليلاً- يُمارسها ، ولكلٍّ نكهته الخاصة .

٣- سألتزم بما وعدتُ به في مقدمة الطبعة الأُولى ، فلن أدخل في دائرة الردود ، خاصة وأنّ ما سمعته أو قرأته لا يمكن تصنيفه في باب التعبير عن الفكر ، وإنّما في باب «التنفيس» عمّا في النّفس من أمراض ، **وكلٌّ إناء بالذي فيه ينضح . . .**

ولكن لا بأس من الإشارة -مجرد إشارة- إلى ردّين ، أكدا لي ما ذكرته عن العقلية والأخلاق التي ينطلق منها هؤلاء :

الرد الأول : ألّف أحدهم كتاباً سمّاه «**كتب حذّر منها العلماء**» ووضع كتابي ضمنها! ولا أدري ماذا سأقول عن مثل هذا التصرف!فلا داعي للتعليق! خاصة وأنّ «الكاتب» مضطر لمثل هذه التصرفات! فالكتابة باب رزقه ، ولا بُدَّ من الكتابة ، فإن لم يجد ما يكتب «اقتبس» وإلاّ كتب أي شيء حتى لو كان «**كتب حذر منها العلماء**» !

ثم إنه يمرُّ الآن في أزمة ، فقد انقلب عليه «السلفيون» وقال فيه الشيخ ناصر كلاماً قاسياً على شريط مسجّل ، وسحب منه ختم «السلفية» فالرجل الأن بلا «هوية» ! وظنّي أنّ كتبه ستضاف إلى قائمة :

«**كتب حذّر منها العلماء . . .**» !!!

أما الردُّ الثاني : فكان شتماً وقدحاً ، ضمن «مُوشّح» شتائم موجّه لبعض طلاب العلم ، في كتاب اسمه «**التحذير من فتنة التكفير**» .

وقد تبيّن فيما بعد أنّ الكتاب **مسروق** . . عفواً «مقتبَس»!

وهذه عادة لذلك «المقتبِس» ، فكثيراً ما تُطابق كتاباتُه كتاباتِ غيره ! رزقه الله !

وكما قلت ، لا يمكن الردّ عليه بمثل شتائمه ، فهذه «موهبة» لا تتأتى لأيٍّ إنسان ، بل تحتاج لمجموعة مواصفات! عافانا الله وإياكم .

٤- لقد أصبحت كلمة السلف أو منهج السلف وسيلةً لقمع المخالِف ، تُستخدم حيث ينبغي وحيث لا ينبغي . وبما أنَّ الطبعة السابقة خلت من تحديد المقصود بالسلف ، وبعض القواعد المتعلقة بهذا الموضوع -وهذا نقص يحتاج لتتميم- فهذه بعض الملاحظات حول هذه القضية :

أ- المراد بالسلف الذين تقوم الحجة بمنهجهم ، هم صحابة النبي ﷺ . ومنهج السلف هو منهج الصحابة في فهم الإسلام وتطبيقه . وهذا هو المعنى الأصولي للمصطلح .

ب- منهج الصحابة المعرفي الذي أخذوه عن رسول الله ﷺ واحد . لكن هذا لا يعني عدم اختلافهم فيما عداه .

ج- ما يُذكر من منهج السلف للإلزام هو إجماعهم ، فإن ثبت الإجماع يكون المخالف مخالفاً لمنهجهم . وإلا فليس قول بعض الصحابة أولى بالأخذ من قول غيرهم . والمجال هنا مجال ترجيح ما يراه المجتهد أصوب . ولا يحق لمجتهد أن يدَّعي أنَّ اختياره هو **منهج السلف** في حين أنَّ اختيار غيره مخالف له .

د- عندما أذكر السلف في سياق المنهج المُلزِم أعني بهم الصحابة .

وأحياناً أعني إضافة للصحابة التابعين وتابعيهم ومن بعدهم من أئمة السنة . وهؤلاء ليسوا حجةً إلا من حيث لزومهم غرز الصحابة رضي الله عنهم في منهجهم المعرفي والأصولي العام .

وفي غير ذلك فإنهم كغيرهم من أهل العلم إن أجمعوا فإجماعهم حجة ، وإلا فلا .

هـ- المقصود بالكتاب من يدَّعي «السلفية» من أتباع التيار المشار إليه في النقطة الثانية من هذه المقدمة ، حيثما كانوا . فالاقتصار بالتمثيل على نماذج معينة في بلد معين

ليس مقصوداً لذاته ، وإنما هو محض اتفاق .

وعلى كلٍّ فإن الأمثلة يقصد بها -دائماً- التعبير عن نماذج وأفكار بصرف النظر عن المكان والزمان . وهي كذلك في هذا الكتاب .

. . . هذا ما أحببت إضافته ، وأسأل الله عزوجل أن ينفع به المسلمين . وأن يتجاوز عن تقصيري وخطأي . إنّه وليٌّ ذلك والقادر عليه .

عمان في ٣/رمضان/١٤١٨هـ

١٩٩٨/١/١م

أبو الهدى إبراهيم العسعس

مقدمة الطبعة الأولى

«ألا لا يمنعنَّ رجلاً هيبةُ الناس
أن يقول بحق إذا علمه»*

إنها رؤيةٌ من الداخل ، لأنّ التغيير يبدأ من الداخل .

وهي رؤية من الداخل لأنّ كاتبها يؤمن بأنّ منهج السلف هو السبيل إلى إصلاح حال الأمّة .

وهي رؤية من الداخل فرضتها أحداث ومواقف كثيرة ،

* رواه الإمام أحمد ٩/٣ ، والترمذي/ الفتن/ باب ما جاء ما أخبر به النبي ﷺ بما هو كائن إلى يوم القيامة ، وقال : وهذا حديث حسن صحيح .

مَسّت المنهج ، وتعدَّت الخطأ الفرديّ ، فلم يَعُد يُجدي أن تقول : « **لعل له عذراً وأنت تلوم** » .

تأتي هذه الدراسةُ في وقت الحاجة إلى البيان ، بعد أنْ أصبحت « **السلفية** » وصفاً محتكَراً في أيدي مجموعة من النّاس ، يظنّ الواحدُ منهم أنّه قيّم على منهج السلف ، فينادي بأعلى صوته «أنا السلفية» ، فمن كان «أنا» فهو «سلفي» ، وإلاّ فليخرج من «السلفية» مذؤوماً مدحوراً .

وما كنّا نحسب أنّه سيأتي زمان يتحكمُ فيه «النُّقادُ السلفيون» – ممن ضاق أُفُقُه إلا عن خطرات وساوسه – بخلق الله سبحانه ، فيُخرج أهلَ العلم وطلابَه المعروفين بالتزام منهج أهل السُّنَّة ، والعاملين المجاهدين المتمسكين بالسُّنَّة ، من حقِّ الانتساب إليها والتحدث باسمها . ولا يقفُ الأمر عند هذا الحدِّ ، بل يتعداه إلى وصف المسلمين بأنّهم جماعاتُ الغُلوّ ، وأنّهم أصحابُ فتنة ، وأنّهم خوارج ، وأنّهم يُذكِّرون بالفئات المارقة عن الإسلام . . وانتهى الحال إلى تأليف كتب ورسائل ، وإصدار أشرطة تسجيل في شتم المسلمين ، وتصنيف العباد ؛ من حيثُ قُربُهم من

«أنا السلفية» .

لقد شوّهت ممارساتُ «السلفيين» منهجَ السلف ، وقزّمته في قضايا معيَّنة ، وانعزلت به عن الواقع ، حتى صار الانتسابُ إلى السلف ، والمناداةُ بالسنّة منقصةً في نظر الناس ، إذ عندما يسمعون عن السلف «والسلفية» يظنُّون أنّهم المختصُّون بالأسماء والصفات ، واختصار المصادر القديمة والمتاجرة بها ، وبتحقيق الكتيبات . .الخ ، الأمر الذي اضطرنا عند الانتساب إلى السلف أنْ نُبيِّن للناس أنّ منهج السلف غير ما يرون ، وخلاف ما يسمعون . وكان من نتائج هذا الوضع أنْ عادت مقالات أهل الأهواء ومناهجهم إلى الظهور ، بعد أنْ عجز أهل السنّة عن الارتفاع إلى مستوى منهجهم ، والدعوة إليه ، واستيعاب الناس الذين سُرُّوا بهم في البداية ، ثمّ نبذوهم نبذ النّوى ، لـمّا رأوهم تجمّدوا عند قضايا لا يحيدون عنها[1] .

إنّ واقع «السلفيين» بحاجة إلى دراسة ومراجعة .

(١) ومما يؤسف له أنّ صورة مُشوّهة تركّزت في أذهانهم عن منهج السلف ، ولكننا -وبإذن الله- سنحاول محو هذه الصورة بهذه الدراسةوبغيرها .

والمأمول أنْ تكون هذه الدراسة دافعاً للمخلصين الناضجين من أتباع المنهج إلى دراسة الواقع وتشخيص حاجاته وأدوائه ، وإلى إعادة دراسة أصول التوحيد ، ومن ثَمّ التفكير جديّاً في إعادة جدولة الاهتمامات ، وترتيب الأولويات .

وإنّ غضَّ الطرْف عن مبدأ التعديل (الذاتي) أوقع «السلفيين» فيما انتقدوا عليه النّاس قديماً ، فَنَبْذُ التعصب للرجال ، ومقولة أنّ الرجال يُعرفون بالحق ، وليس العكس ، من أوائل المبادئ التي رفعوها ، ثُمّ لـمّا أصبح لهم رجالٌ رموزٌ وقعوا في جدليّة الرجال والمبادئ ، فصاروا يدورون حول الرجال وفوق المبادئ! والعجيب أنّهم وقعوا في إشكالية الازدواجية في حمل المبدأ ؛ فهم إذا تكلّموا عن الآخرين ، فكلامهم صراحة وتصحيح ، وتقديم للمبادئ على العلاقات والأشخاص . أمّا اذا تكلّم غيرُهم عنهم ، فلا بُدّ أنْ يَحترم العلماء ، ويتأدّب معهم! إنّها ظاهرة الكيل بمكيالين!

لقد أشفق بعضُ الاخوة من بعض الصراحة ، التي قد

تزعج بعض «السلفيين» فطلبوا تغيير بعض العبارات ، لا اعتراضاً على ما تحمله من مضامين ، لكن خشية أنْ تُحمَّل ما لا تحتمل ، أو أنْ تُستغلّ في تفويت الفائدة المرجُوّة من الدراسة .

ولم تكن هذه وجهة نظري ، فإنّ قناعتي أنّ السائر في درب الاصلاح عليه أنْ يوطِّن النفس على ما سيُصيبها من أذى .

وأنا لست مسؤولاً عمّن سيبحث عن صيد يُشنِّع به على الحقيقة ، «**والمريضُ القلبِ تجرحُه الحقيقة**» ، لأنني صاحب قضية ، أكتب لنشر قضيَّتي . وأسلوب «رفقاً بالقوارير» لا ينسجم مع فهمي للصراحة المطلوبة لتصحيح مسار «السلفية» ، والدعوة الى عقيدة التوحيد التي يُراد لها أنْ تنحرف عن طريقها الصحيح .

وحسْبي أنني لم أتجاوز أدب العلم ، ومنطق النقد المقبول .

وإنّني على أمل -إنْ شاء الله- من أنّ المخلصين الواعين من «السلفيين» سيرحّبون بهذه الصراحة المنضبطة .

ولا بأس من التمادي في الأمل ، فلأطمع -إذن- من «السلفيين» أنْ يطالعوا هذه الدراسة بتركيز وموضوعية ، وليتوقف أحدُهم قبل أنْ يغضب أو يَتَّهم ، وليفكر ملياً ، وليضع نُصْب عينيه مصلحة الإسلام ، والدعوة إليه ، قبل أن يتوتر من أجل بعض العبارات ، التي قد يرى فيها شيئاً من شدة ، وليَتجنَّب الحيلة المتَّبعة للهروب من المسؤولية ، ومواجهة المشكلة ، حيث يَصُبّ كلّ الجهد في تضخيم بعض الشكليات ، مصادِراً بذلك الأفكار الجادة التي عرضتها الدراسة .

ونحنُ -في الحقيقة- لا نطمعُ كثيراً بمن ارتبطت مصالحه «بالسلفية» في شكلها القائم ، فإنَّ مَن هذه حالُه يصعُب عليه الانعتاق من شبكة العلاقات المعقدة التي يتصل معها ، ويفيد منها ، ولذلك فإننا نتوقع رفضه وبشدة .

ولكننا نخاطب الشباب الواعي المعتقِد بمنهج السلف ، الذي يرى أن لا نهضة للمسلمين إلا بإحيائه ؛ الشباب الذي لا مصلحة له .

ونخاطب المسلمين ليعرفوا المنهج السلفي الحقيقي ، وموقفه من القضايا المدروسة لعلنا نلتقي وإيّاهم لحمل الإسلام بدعوته ؛ دعوةِ التوحيد . . .

نخاطبهم ونرجوا منهم أن ينسوا النماذج التي بقيت زمناً -ولا زالت- واجهات معروضة باسم السلف و «السلفية» .

وأما من سيقول : إنَّ الكلامَ يضرُ المنهج ، وإن كان ولا بُدَّ فليكُن في الغرف المغلقة! **فأقول له** :بل إنَّ الصمتَ هوَ الذي يضرُّ المنهج ، وإنَّ الصمت هو الذي يغتال المنهج ، ويخنُق الحقّ . ولم يزل معظم أهل الحق -منذ صفّين- صامتين ، متذرعين بالحكمة ، ومتعلّلين بدرء الفتنة ، حتى غُصَّت الحلوق بالصمت ، وساحت الفتنةُ في الأرض . ألا إن الصمت عار عندما تكون الحقيقة مرَّة! أمّا حكاية الغرف المغلقة ، فهذه تصلح لمناقشة الشؤون الشخصية ، أمّا عندما يتعلق الأمر بالمنهج ، وبالممارسات العلنية المرتبطة بالفكرة ، فإنّها -أي الغرف- ليست محلاً للكلام . وبما أنَّ الانحراف علنيٌّ ، فلا بُدَّ أنْ يكون التصويب علنياً .

وإذا كان الخطأ في العلن ، فلا يجوز أنْ يكون التبرؤ منه في السر .

إنّ هذا البحثَ يُجدِّد الدعوة إلى السنّة بمفهومها العام ، وإلى منهج السلف . ويُبيِّنُ من هو «السلفي» وما هي قضية «السلفية»!

وأخيراً ، فلقد حاولت – قدر استطاعتي – التزام آداب الحوار ، وأصول النقد ، وأسأل الله العفو إنْ اخطأت .

وسأحاول –بإذن الله– ألاّ أدخل في مهاترات وسفاهات مع من سيبقى واضعاً رأسه في الرمال ، ناظراً إلى الأمور بعين واحدة ، محولاً القضية عن مسارها الصحيح والمقصود .

وأتْعبُ مَن ناداكَ من لا تُجيبه
وأغيْظُ مَن عاداك من لا تشاكلُ

عمان في ١٤١٤/٧/٢٢هـ

١٩٩٤/١/٢م

أبو الهدى إبراهيم العسعس

عندما ...

عندما يُخالَف الشعارُ، فيُعرف الحقُّ بالرجال ...
عندما يُقدَّم الأشخاصُ على المبادئ...
عندما تُزَوَّرُ الحقائق، وتُنكَّس الموازين...
عندما «يُقرطَس» الكتاب، فيُبدى بعضُه، ويُخفى بعضُه ...
عندما يؤكل بالعلم، وتتحولُ الدعوة إلى حرفْة...
عندما يُجَرَّحُ العامل المجاهد، ويُعدَّل حِلْسَ بيتِه...
عندما يُحْجز التوحْيد في القبور ...
عندما تصبح المبادئ والأصول في خطر...
وعندما لا يحتمل الوضع السكوت والتأجيل ...
عندها يصبح ...

الصمت خيانةً
و السكوت جبناً
والتجاوز إثماً

عندها لا بُدَّ من الكلام وبصوت مرتفع .

وعندها يَفْرِض علينا حقُّ العلم أن لا نُحابي أحداً.



كلمة في «المنهج»

تردّد كلمة «المنهج» في هذه الدراسة كثيراً ، وبما أنها كلمةٌ غامضةٌ لدى كثير من الناس ، يستخدمونها ويقرؤونها وهم لا يعرفون معناها ، الأمر الذي أدّى إلى خلط كبير ، فقد رأيت أن أعرِّفها باختصار يُلقي بعض الضوء على معناها .

فالمنهج : طريق محدَّد يعتمد على خطة واعية .

أو هو : طائفة من القواعد العامة التي تُنظِّم المعلوماتِ والأفكارَ من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية .

فعندما نقول -مثلاً- : منهج «السلفيين» في التغيير ، نعني : الطريق المحدَّد المعتمد على خطة واعية لإحداث التغيير . ونعني أيضاً القواعد التي يلتزمونها لتنظيم معلوماتهم وأفكارهم من أجل الوصول إلى الحقيقة العلمية

وغيرها من الحقائق .

وعندما نقول منهج علماء الحديث ، نعني : مجموعة القواعد التي يعتمد عليها علماء الحديث لمعرفة صحيح الحديث من ضعيفه .

إنّ وضوح هذا البُعد ، يُقيِّدُ المتشدِّقين -أياً كانوا- ، ويُلزمهم بيانَ ما يقصدون من كلامهم : منهجنا في كذا . . ، فيظهر هل لهم منهجٌ أم لا .

وهو -من بعدُ- يضمن لنا عدم انحراف أتباع المنهج -أيِّ منهج- عن معالم منهجهم ، لأنَّ وضوحَ المعالم يظل المقياس الذي نُرجعُ إليه الأقوال والأفعال .

وبهذا لن يَعلوَ أحدٌ على المنهج ، بل سيبقى الكلُّ تحته ، يخضعون له ويأتمرون بأمره .

وبهذا تعرف قصد من قال -ولقد صدق- : «**خيرٌ للإنسان أن يعدل عن التماس الحقيقة ، من أن يحاول ذلك من غير منهج**» .

مقدمات

١) لست مضطراً لأن أذكر -معتذراً- بأنّني سلفيٌّ، وأنّني أحترم فلاناً وفلاناً، وأكنُّ لهم خالصَ التقدير، وأنّني رضعتُ السلفيةَ منذ نعومة أظفاري! لا أجدني مضطراً لهذه الاعتذارات التي تُقدَّم -عادةً- بين يدي حاملي ختْم السلفية، خوفاً من سَلْب وصف السلفية عن النّاس، واتهامهم بالخَلَفية. فإنّك ستعلم -أخي القارىء- فيما بعد بأنّ خَتْم السلفية ليس ملكاً لأحد، ولا حِكراً عليه. وسيرى الإخوة الذين ينتسبون إلى

منهج أهل السنّة، ويلتزمون هَدْيَ السلف، بأنّهم إذا أُخرِجوا من السلفية من باب، فإنَّ واقع مَن أخرجهم منها يُخرجه من مئة باب.

لا أحد بعد اليوم قيِّمٌ على السلفية، ومن اليوم لا بأس على المتَّبعين - على الحقيقة - لمنهج السلف من سَلْبهم السلفيةعلى أيدي إقطاعيي «السلفية» الذين انحرفوا بها عن الجادَّة، وملؤوها بالبدع.

ولقد أشفَقْتُ على الشيخ عبدالرحمن عبدالخالق وهو يُقدِّم لمقالاته المنشورة في مجلَّة «الفرقان» تحت عنوان «**حوارٌ في المنهج**» بما يُثْبِتُ سلفيّتَهُ خوفاً من سَلْبِها منه من محتكري الختم.

وأيضاً فإنّني أعجب كثيراً من بعض المشايخ، وكثير من الإخوة، الملتزمين بنهج السلف، من حساسيَّتهم تجاه هذا الموضوع ومحاولاتهم المستمرة لإثبات سلفيتهم عند بحث مسألة من المسائل التي يختلفون فيها مع محتكري الختم! فلماذا هذا الرعب؟! وهل غيركم أولى بالسَّلَف منكم؟!

٢) ليكن معلوماً بأنّ كلامنا في هذا البحث لا يعتني بالمسائل الفرعية، ولا يهدف إلى ترجيح قول على قول، فهو ليس بحثاً فقهياً، ولكنّه بحث منهجيٌّ، يُذكِّر بالأصول، ويهتم بالقواعد.

٣) مصطلح «السلفية» مرفوض، وسيأتي بيان ذلك، إلاّ أنّني مضطرٌّ لاستخدامه لأنّه أصبح عَلَماً على فئة من أهل السُّنّة، ومن هنا فإنّ استخدامي له وصف للواقع وحَسْب.

ومع ذلك - وحتى أحتفظ بحقي في رفض المصطلح- فإنّني سأستخدمه بين قوسين، تماماً كاللفظ المُترجَم ترجمة حرفيّة، تدليلاً على غرابته.

٤) قد يقال تسويغاً لما سأورده من ملاحظات: إنّها حالات فردية، وليست حجةً على المنهج.

فأقول: هذه محاولة للتبرير، والهروب من المواجهة، يلجأ إليها كلُّ اتجاه يواجَه بتصرفات أتباعه التي تنم عن خلل في المنهج، فيجيب بأنها: حالات فردية، ليست حجةً على المنهج.

إنّ ما سأذكره ليس حالات فرديةً، بل هو انعكاس لمنهج، وانفعال بطريقة، وتأثُّرٌ بتربية وتعليم، واقتداء برموز. أرأيت عشرة إخوة، تسعة منهم على شاكلة واحدة، وطبع مشترك، في سوء الخُلُق، والاعتداء على الناس، هل لك أن تقول عن أحوالهم: سلوك فردي! أم لك أن تقول: قبّح اللهُ بيتاً خرجتم منه؟!

وهكذا الحال في موضوعنا، لأنّك تجد نمطاً سلوكياً واحداً، وطريقة في التعامل مع الأحداث والمسائل سائدة، أفلا يدلُّ كل هذا على منهج واحد في التربية؟!

٥) مضامين هذا البحث ليست رأياً لكاتبها وحده، وإنّما هي لسان حال كثير من أهل السُّنّة السائرين على هدي السلف، وهي كذلك مقال بعضهم -على استحياء- في المجالس الخاصة. وأسباب عدم تصريح هؤلاء وأولئك كثيرة، منها: الخوف على سمعة «السلفية»، والمحافظة على هيبتها أمام الخصوم. ومنها: أنّ كثيراً من الإخوة تأخذهم هيبةُ الشيخ ناصر -حفظه الله- واحترامُهم لعلمه وسنّه،

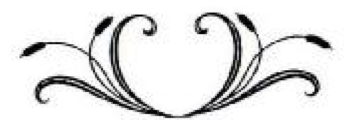
واعترافهم بفضله وخدماته للسُّنّة، لمعرفتهم بأنّ بعض الكلام سيُصيب الشيخ، وبعضه ستصيبه شظاياه.

ومع الاعتراف بعلم الشيخ وفضله وسنّه، فهيبته محفوظة، غير أنّ هيبة الحق مُقدَّمة عندنا، وخوفنا على منهج السلف من الانحرافات التي أصابته تضطرُّنا إلى تجاوز كل الاعتبارات الشخصية، وتوجب علينا تصحيح الأصول السُّنّيّة التي بتنا نخشى عليها من التزوير والتلفيق.

وبمناسبة هذا الكلام، فإنّنا نرفض تحميل مَن حول الشيخ من التلاميذ والمريدين القريبين كلَّ الخطأ، وتبرئة الشيخ من كلِّ ما يجري، على قاعدة: أنّ الشيخ آخر من يعلم. بل إنّ الشيخ يعلم الكثير، وإنّ الشيخ وطريقته ومنهجه من أسباب ما آلت إليه «السلفية».

وبعد . . . فلا يفرحنّ مَن في قلبه مرض بما سيقرأ، فإنّ صراحتنا ليست قدحاً في منهج أهل السنّة، ولا انتقاصاً من نهج السلف، وإنّما هي تأكيد له، وتنقية له من كل شائبة تؤثر على انطلاقته الكبرى التي ستكشف كلَّ البدع؛ بدعِ

القرن الثاني، وبدعِ قرننا هذا، بالتوحيد المتكامل، الذي لن يستثنيَ شِركاً من بيانه.



أهداف البحث

لقد دفعتني إلى كتابة هذا البحث دوافعُ كثيرة، أفرزتها التجربةُ العملية، وفرضتها الملاحظة الميدانية لممارسات «السلفيين» ومنهجهم، والتي اكتوى بنارها المتَّبِعون للسنة، المقتفون لنهج السلف. وهذه بعض الدوافع:

١) تحديد الموقف من مصطلح «السلفية» خاصة وقد أصبح سبباً في شقّ صف المسلمين، وثوباً في أيدي بعضهم يُلبسه من يشاء ويخلعه عمن يشاء.

٢) تحديد من هو «السلفي» وتعيين المسائل التي يُعرف بها، خاصة وقد وقعَ النزاعُ في تحديده، فهذا سلفيُّ العقيدة، لكنّه [تحريريٌّ أو إخوانيٌّ أو سُروريٌّ] المنهج! وذاك دخيل

على «السلفية»، وغير ذلك من الأوصاف، مما اقتضى أن نعرف المعيار المعتمَد لمعرفة «السلفي» من خلال مناقشة بعض القضايا.

٣) الدفاع عن منهج أهل السنّة وتصحيح مسار «السلفية» كي نُصلح ما أفسد الناسُ. وليِفهم المسلمون أن «السلفيين» في وضعهم الحالي ليسوا ممثلين لمنهج السلف، وليسوا هم المعيار أو مفرق الطريق بين فقه السلف وبين غيرهم، ولكنهم من أهل السنّة، ويتَّبعون السَّلفَ في بعض المسائل، يُصيبون ويخطئون، فلا يحقُّ لهم، والحالة هذه، الاستئثار بهذا اللقب، وإخراج من خالفهم -في اختياراتهم الفقهيّة، وترتيبهم للأولويات في الدعوة- من دائرة السلف.

نريد أن يُفرِّق المسلمون بين منهج في الفهم، وبين اختيارات عالم من العلماء، فاختياراته ليست هي المنهج.

ونريد أن نرشد المسلمين و«السَّلفيين» إلى منهج علماء السَّلف في التوحيد ومقتضياته، وطريقة عرضه، وإلى منهجهم في البحث الفقهي، وموقفهم من المخالف.

وأخيراً، فلقد صار الواحد منّا حريصاً عند انتسابه إلى منهج السَّلف، على فرز نفسه عن «السَّلفيين» حتى لا يُجمَع معهم في صعيد واحد، ولا يُحمَّل تبعة طريقتهم وفتاواهم وتصرفاتهم، ولذلك فإنّنا نريد الخلاص من هذه الازدواجية، فنعلن: **أنْ هذا هو منهج السَّلف: نسبةً وعقيدةً ومنهجاً، ومن كان على غيره، فليس له الانتساب إليه، فضلاً عن أنْ يحتكره.**

ولا يعني هذا احتكار المنهج والانتساب إليه، فأقع فيما أنتقدُه، وإنّما أعني أنّ منهج السلف يرفض الاحتكار، وادعاء الاختصاص «بالسلفية»، وأنّ من يدَّعي ذلك لا يحقُّ له الانتساب إلى المنهج.

إنّ أهمّ قواعد منهج السلف عدم احتكار الفهم السليم، وإعذار المخالف، والحذر من التفرق والدعوة إليه. فماذا سيبقى لمن يخالف كلّ هذا من حقّ الانتساب إلى المنهج؟!

إشكالية النسبة وبدعيّة اللقب

«جاء رجل إلى الإمام مالك فقال: يا أبا عبد الله؛ أسألك عن مسألة أجعلك حجة بيني وبين الله عزّ وجل، قال مالك: «ما شاء الله، لاقوة إلا بالله، سلْ».

قال: مَن أهل السنّة؟ قال: أهل السنّة الذين ليس لهم لقب يُعرفون به».

١) لقد حارب «السلفيون» اللافتات والألقاب التي يرفعها العاملون للإسلام، خاصة تلك التي تقتضي تحزباً وتكتلاً، وذلك لآثارها السلبية والخطيرة، والتي أهمّها شقُّ صف الأُمّة، والتميز عنها بحيث تصبح اللافتات مقاييس

اللقاء والمفارقة، وميزان التقوى وصحة الإسلام، وهذا -طبعاً- بعد التأكيد على بِدعيَّتها، فالله سبحانه لم يُنزِّل بها سلطاناً.

هكذا سمعنا كبار «السلفيين» يُرددون ليل نهار، حتى لقد كانت هذه القاعدة من أهم معالم المدرسة «السلفية».

٢) وبعد أنْ اقتنع كثير من المسلمين بهذه القاعدة، وأصبحوا يمقتون الحزبية والتفرُّق، والتميُّز عن المسلمين، وشقَّ صفهم بالألقاب واللافتات، بعد كل هذا، إذا بدعاة الأمس، ومحاربي تلك البدعة من أكثر النَّاس وقوعاً فيها، ومن أكثر الدعاة التزاماً بمعايير تفصلهم عن المسلمين.

لقد أصبحت «السلفية» لافتة، إنْ لم يكن بلسان المقال، فبلسان الحال، وإن لم يكن تصريحاً فواقع التصرفات يُصرِّح بذلك، وأي شيء تنفع بعد ذلك الدعاوى، التي تنصُّ على أنَّ «السلفية» ليست حزباً، وأنَّ «السلفيين» ليسوا مُتكتِّلين، إذا كان السلوك سلوكاً حزبياً؟! أليس التقيّد بالمصطلحات -في مثل هذه الحالات- سذاجة وسطحية؟!

إنَّ هذا الوضع يتطلب منّا أنْ نُبيِّن الموقف من هذه الظاهرة التي تُشكِّل خطراً على الدعوة إلى منهج أهل السنّة.

وكلامنا في هذا المبحث على مستويين؛ الأول: **بِدعيَّة اللقب**. والثاني: **أنه مع افتراض شرعيته، فإنَّ نتائجه تُلزمنا بعدم استخدامه**.

٣) المستوى الأول: **بِدعيَّة اللَّقب**.

وبيانه فيما يلي:

أ- لسنا «السلفيين» ولكنّا المسلمون.

هكذا كانت البداية، وهكذا يجب أنْ تظل، وإذا كان ابتداء هذا اللقب من الآخرين، فلا ينبغي أنْ نفقد مناعتنا وننساق وراءه فنُسمي أنفسنا به.

إنَّ الاسم الذي ارتضى لنا ربُّ العزة الانتساب إليه هو الإسلام، قال تعالى: ﴿وجاهدوا في الله حقّ جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملّة ـم هو سمّاكم المسلمين من قبل﴾

وهذا الاسم هو الذي أراده لنا رسول الله ﷺ ، مع التحذير من غيره ، فقال ﷺ : «**ومن دعا بدعوة الجاهلية[1] فهو من جُثاء جهنّم ، وإن صام وصلّى وزعم أنّه مسلم ، فادعوا بدعوة الله التي سمّاكم بها : المسلمين عباد الله**»[2]

ولقد سأل معاويةُ ابنَ عباس رضي الله عنهم فقال : «أنت على ملّة عثمان أو على ملّة عليّ؟ فقال : لستُ على ملّة عليّ ، ولا ملّة عثمان ، بل أنا على ملّة رسول ﷺ» .[3]
قال ابن تيمية رحمه الله : «والواجب على المسلم إذا سئل

(١) كلُّ دعوة تُحزّب الناس بحيث تلقي العداوة والبغضاء بينهم ، أو يصبح التجمع معيار الودّ والبغض بين الناس على حساب علاقة الإسلام ، أو أن يوافِق شخصٍ ما على كلّ ما يريده ، فيُوالَى من يواليه ، ويُعادى من يعاديه . . . كل هذا وغيره من دعوة الجاهلية ، فإن من «مال مع صاحبه -سواء كان الحق له أو عليه- فقد حكم بحكم الجاهلية ، وخرج عن حكم الله ورسوله ﷺ» الفتاوى ١٧/٢٨ .
أما الالتقاء على الطاعة ، والعمل للإسلام ، فليس من دعوة الجاهلية ، إذا سلم الأمر من تلك المهالك .

(٢) جزء من حديث رواه الإمام أحمد ١٣٠/٤ . والترمذي ، كتاب الأمثال ، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة وقال : هذا حديث حسن صحيح غريب . والجُثاء : جمع جُثْوة بالضم وهو الشيء المجموع . أنظر النهاية في غريب الحديث ٢٣٩/١ .

(٣) الوصية الكبرى / ٦٧

عن ذلك أن يقول لا أنا شُكيلي* ولا قرفندي* ، بل أنا مسلم متّبع لكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ»[1]

وقال رحمه الله : «والله تعالى قد سمّانا في القرآن المسلمين المؤمنين عباد الله ، فلا نعدل عن الأسماء التي سمّانا بها إلى أسماء أحدثها قومٌ وسمّوها هم وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان»[2] .

ب- لسنا «السلفيين» ولكننا على منهج السلف .

كما علمتَ فإنّ الأصل الانتساب إلى الإسلام ، والتمسّك بالسنّة . هذا هو الأصل ، ومن كان على الأصل فلا يحتاج لإضافات أخرى . لكن عندما وقعت الفتنة ، ورفعت البدعةُ رأسها وانتَسبت ، اضطُر أهل السنّة إلى الائتمار بأمر الله ورسوله ﷺ من التزام المنهج الصحيح ، فأعلنوا تمسكهم بمنهج السلف : أهلِ القرون[2] الأولى في

* أسماء فرق في زمانه يرحمه الله .
(١ ، ٢) الوصية الكبرى / ٦٧
(٢) القرن هنا الجيل وليس مئة عام . فهم على ذلك الصحابة رضي الله عنهم .

التلقي، فصاروا يُعرفون بأهل السنّة، وصاروا ينتسبون إلى منهج السّلف، ولم يزيدوا على هذا .

أمّا الذي يدّعي بأنّ الانتساب إلى الإسلام، والتسمّي بالسنّة لا يكفي لأنّ الكلّ ينتمي إلى الإسلام، والكل يقول: أنا على السنّة .

فنردُّ عليه، **أولاً** : بأنّنا نفصّل «عند الحاجة» فنقول: نحن أهل السنّة ومنهجنا في التلقي موافق لمنهج الصحابة رضي الله عنهم .

وثانياً نقول: أرأيت لو قال بعضهم -وقد قيل- : ونحن «سلفيُّون» أيضاً، وعلى منهج السلف، فهل عليك عندها أنْ تضيف قيداً آخر؟ فإن قال : الخضوع في مثل هذه الحالة للدليل، وليس للدعوى .

فنقول : وهذا ما نريده، فالرجوع في تحديد موقف النّاس من الكتاب والسنّة إلى الدليل، وليس ادعاؤك «السلفية» بُمعفيكَ من طلب الدليل، ولا تجرد غيرك من الدعوى بمخصّصه بالسؤال عن الدليل .

ج- سلفية : شرعة ومنهاجاً، لا في الفروع والفتاوى :

من أساليب كثير منّا في التعبير، التعميمُ والقطع بمناسبة وبدون مناسبة، وهو أسلوب نغطّي به عجزنا عن التتبُّع والفصل بين الأشباه والنظائر، أي أنّه أسلوب يُريحنا .

وهو أسلوب ينفعنا حيث نركَنُ إليه لقمع الآخر وإلجامه عن مناقشتنا أو التثبت مما نقول، فتجدنا نُكثر من مثل هذه الألفاظ :

هذا هو الحقّ، أو كل ما عدا هذا باطل، أو أتحدى، أو أجمع علماء الأمة[1] . . .

وبالطبع فإنّ الآخر عندما يسمع مثل هذه الألفاظ يُصاب بالرعب . . . ويلجأ إلى الصمت طلباً للسلامة من مخالفة «الحق» أو الوقوع في «الباطل» أو خَرْم «الإجماع»!

ومن هذه الألفاظ التي غدت سلاحاً نُخْرِس به الخصوم: إدعاؤنا بأنّنا «السلفيون»! وأنّ «كلّ» ما نقوله

(١) وعندما تبحث لا تجد جمهوراً فضلاً عن أن تجد إجماعاً .

ونفعله : على منهج السلف ، وهي عبارات يفهم منها «السلفيُّ» قبل غيره أنّ أيّ اختيار يتَعبَّدُ به فهو -وحده- موافق لمنهج السلف ، وما عداه مخالف لمنهجهم .

وهذا فهم خاطئ ، فالمسلم مُتَّبع لمنهج السلف في طرق الفهم ، وأصول الأدلة وترتيبها ، وليس في الفروع الفقهيّة .

ولذلك فإنّه لا يحقُّ لأحد أنْ يدعيَ أنّ فتواه هي **الفتوى «السلفية»** وأنّ ما عداها خَلَفيَّة ، وليس له أنْ يواليَ أو يعادي على أساس هذه الفتوى ، وليس له إقامة ركن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه الفتوى ، وليس له أنْ يجعل فتواه من أصول فكرته ، وأولويات دعوته ، التي لن يَصْلُحَ حالُ المسلمين إلاّ بالتَّمسُّك بها ، وليس له -أخيراً- أنْ يدعيَ بأنّ هذا ما كان عليه السلف إلاّ أنْ يجيءَ بإجماع مُثْبَت ، وهيهات . . . هيهات ، وأنّى له أنْ يأتي بالإجماع على كل المسائل التي يدعيها . وأعني بالإجماع هنا ، إجماع الصحابة ، فهو المعتبر عند المحقّقين ، على ندرته ، والخلاف في تحقُّق هذا النادر فعلاً !

إذن فنحن مسلمون ، وإنْ طُلب منّا عرض منهجنا ، فإنّنا نعرضه بالأدلة من الكتاب والسنّة ومنهج الصحابة رضوان الله عليهم في التعامل مع النصوص ، وتنزيلها على الواقع .

فالسلف غير «السلفية» والانتساب إليها .

والمسلمون ليسوا «السلفيين» .

٤) أمّا المستوى الثاني[١] :

فلنفترض شرعية التلقُّب بهذا اللَّقب ، فإنّ حال من ينتسب إليه يقتضي تركه ونبذه لوقوع المُتلبِّس بهذا اللقب في الخطأ والابتداع .

والبدعة في هذا المستوى تظهر فيما يلي :

أ- أنّ هذا الاسم أصبح لافتة تنضوي تحتها مجموعة معينة ، تَتخذ من بعض الاختيارات الفقهية -وليس المنهج- شعاراً لها .

ب- امتحان المسلمين بهذه الاختيارات ، وجعل اللقب

(١) لطفاً راجع صفحة ١٤ .

معياراً للولاء والبراء، والحبِّ والبغض.

قال ابن عبدالبر رحمه الله: «**لا يجوز لأحد أن يمتحن النّاس بها**[1]، **ولا يوالي بهذه الأسماء، ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم**»[2].

وقال ابن تيمية رحمه الله: «وليس لأحد أن يُعلّق الحمد والذم والحبَّ والبغض والموالاة والمعاداة واللّعن بغير الأسماء التي علّق اللهُ بها ذلك: مثل أسماء القبائل، والمدائن، والمذاهب، والطرائق المضافة إلى الأئمة والمشايخ، ونحو ذلك مما يُراد به التعريف... فمن كان مؤمناً وجبت موالاته من أيّ صنف كان، ومن كان كافراً وجبت معاداته من أيّ صنف كان»[3].

ج- أصبح هذا اللقب من عوامل تفريق الأمّة، داعياً إلى التعصب له، ولاختيارات علمائه، بدلاً من أن يكون -كما أريد له ابتداءً- سبباً في تجميع الأمّة ودافعاً إلى الالتزام بالسنَّة، وطريقة الصحابة.

(١) أي النِّسبة إلى المذاهب.
(٢) الانتقاء صفحة ٣٥.
(٣) الفتاوى / جزء ٢٨/ ص ٢٢٧-٢٢٨.

إنّ الله سبحانه هو الذي سمّى المهاجرين «مهاجرين» وهو عزّوجل الذي سمّى الأنصارَ «أنصاراً» يعني أنهما لقبان شرعيان، ومع ذلك فإنّهما عندما استُخدما في معرض العصبيَّة، والتحيُّز لفريق ضد فريق آخر، صار استخدامهما ممقوتاً، فقد أخرج الشيخان عن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أنّه: «اقتتل غلامان؛ غلامٌ من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجريُّ: يا للمهاجرين، ونادى الأنصاريُّ: يا للأنصار، فخرج رسول الله ﷺ، فقال: ما هذا؟ أدعوى الجاهلية؛ ...»[1] الحديث.

قال ابن تيمية رحمه الله: «فهذان الاسمان «المهاجرون» و«الأنصار» اسمان شرعيان، جاء بهما الكتاب والسنّة، وسمّاهما الله بهما، كما سمّانا «المسلمين من قبل وفي هذا» وانتساب الرجل إلى المهاجرين والأنصار انتساب حسن محمود عند الله وعند رسوله، ليس من المباح الذي به التعريف فقط؛ كالانتساب إلى القبائل والأمصار ولا من

(١) رواه البخاري في المناقب / باب (٨) ما ينهى من دعوى الجاهلية، ح ٣٥١٨، وفي غيره. ورواه مسلم في البر والصلة حديث ٦٢، ٦٣.

المكروه أو المحرم، كالانتساب إلى ما يُفضي إلى بدعة أو معصية أخرى. ثم مع هذا لما دعا كل واحد منهما طائفته منتصراً بها أنكر النبي ﷺ ذلك، وسمّاها «دعوى الجاهلية».[1]

أقول: هذا في الاسم الشرعي الحسن المحمود، فماذا تقول في الاسم الذي يُفضي الانتساب إليه إلى بدعة أو معصية، كما هو الحال في تصرفات «السلفيين» في دعواهم الانتساب إلى السلف؟

٥) تنبيه لا بُدّ منه:

سنرى في مبحث لاحق مدى اطلاع «السلفيين» على ما يجري حولهم، وكان مناسباً أنْ نأتيَ بالملاحظة التالية في ذلك المبحث، لكن لا بأس من ذكرها هنا لعلاقتها بموضوع المبحث، فهي من جهة علاقة «السلفيين» بالحياة تناسب المبحث اللاحق، ومن جهة علاقتها بإشكالية النسبة تناسب هذا المبحث، فلا مانع من ذكرها في المبحثين.

(١) اقتضاء الصراط المستقيم/٧١.

أقول: ليكن معلوماً أنّ مصطلح «السلفية» يُستخدم من قبل جهتين، كل جهة تقصد من اطلاقه قوماً مُعيَّنين..

أمّا الجهة الأولى: فهي العاملون للإسلام، فإنهم يُطلقون «السلفية» ويريدون بها تحديداً: تلك المدرسة الإسلامية التي تتّبع منهجاً معيّناً تدعو إليه المسلمين، يعني أنّ مقصود هذه الجهة هم «السلفيون» الذين نتكلم عنهم.

وأمّا الجهة الثانية: فهم الآخرون، ممن هم خارج الدائرة الإسلامية العاملة للإسلام؛ من علمانيين، ومثقفين! ومستشرقين، ويسار إسلامي! وغيرهم من القائمة القائمة. وهؤلاء يُطلقون «السلفية» ويقصدون بها كلّ الدعاة إلى الإسلام، لأنّهم -في نظرهم- يتمسّكون بالماضي، ويَسْعَوْن إلى إحيائه، فمدلولُ المصطلح عندهم غير مدلوله عندنا، وهم يستخدمونه ويستخدمون معه -كمرادف- أكثر من لقب مثل: الأصولية، الماضوية، المتطرفين...

إنّ ادراك هذا الفرق ليس ترفاً فكرياً، بل إنّه على درجة كبيرة من الأهمية، ليعرف كلٌّ حجم أفكاره، ومدى تأثيرها

في الواقع ، وموقف الجاهلية منها .

فإذا عرفت هذا ، فلك أنْ تعجب من كلام الشيخ محمد شقرة في رسالته «**لا دفاعاً عن السلفية لا ، بل دفاعاً عنهــا!**» في معرض ردّه على من يتهم ! «السلفيين» بأنّهم «خطر يتهدّد أنظمة الحكم ويستهدف رؤوس الحكام»[1] ، حيث يقول الشيخ : «أمّا عن التهمة الثانية ، فهي التهمة التي يُدندن حولها أعداء الإسلام هذه الأيام وفي مقدمتهم اليهود ! إذ تناقلت وكالات الأنباء -منذ فترة- قول واحد منهم وهو (بيريز) : «إنّ السلفية ليست خطراً على إسرائيل وحدها بل على كل أنظمة الحكم»[2]

وقد عرفت -عزيزي القارئ- على ضَوء التفريق السابق أنّ (بيريز) يقصد من كلامه المسلمين الداعين إلى إعادة تحكيم الشرع في الأرض .

لقد نبّهت إلى هذا الخطأ ، حتى لا يظنّ «السلفيون» بأنّهم

(١) ص . ١ من الرسالة المشار إليها .
(٢) ص١٢ ، المرجع السابق .

يُقلقون (بيريز) ، أو أنّ أعداء الإسلام المراقبين لحركته باتوا يخشون من حركة تصحيح الأحاديث ! ومن حركة الدعوة إلى زيٍّ معيَّن ! ومن جهود «تجار الورق»[1] بإحياء كتيِّبات من مثل «القذاذة في تحقيق محلٍّ الاستعاذة» أو من مئات الكتب التي تتكلم عن الجنّة والنار ! فمثل هذه الكتيبات لا شك أنّها أقلقت الدوائر الاستعمارية والصهيونية ! كيف لا وهي تُهدِّد وجودها !!!

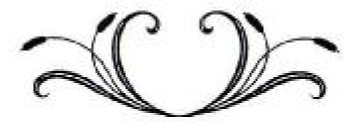
وكم ذا «بعمّان» من مضحكاتٍ
ولكنّه ضحكٌ كالبُكا

وأذكِّر بقاعدة مهمّة ، ذات علاقة وشيجة بهذه النقطة ، **وهي أنَّ رفض الجاهلية لأفكارنا يدلُّ على مدى تأثير أفكارنا عليها** . فما هي آثار جهود «السلفيين» على الجاهلية ؟!

. . . هذا وإنّ «السلفية» التي يقصدها (بيريز) هي «السلفية» التي هاجمها الأستاذ محمد شقرة في رسالته المشار

(١) وقد بلغت جهودهم إلى حدّ أنّ «كتبهم» تتفق مع كتب الآخرين ، عن طريق توارد الخواطر!!! ، أو الاقتباس !!! .

إليها آنفاً ، وسمّى حملتها «جماعات الغلو»[1] ، لأنها تذكِّره «بالطوائف المارقة من الإسلام ، التي لا زالت دماء فتنتها تفوح حتى يومنا هذا»[2] . هكذا وصف الأستاذ أتباع منهج السلف المدافعين عن شرع الله بما أدّاهم إليه إجتهادهم .



(١، ٢) ص١٣ ، المرجع السابق

«السَّلفيون» والتوحيد

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦]

﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلاّ نوحي إليه أنه لا إله إلاّ أنا فاعبدون﴾ [الأنبياء: ٢٥]

١) العقيدة أولاً ، نعم ... لأنّ بداية الأنبياء عليهم السلام كانت بها ، وبداية محمد ﷺ كانت بها ، ولأن منطق البناء يقتضي أنْ يكون البدء بالأساس ، والعقيدة هي الأساس .

ومن المعلوم أنّ شعار عقيدة الإسلام وأسَّها ، ومنطلقها هو التوحيد متمثلاً بلا إله إلاّ الله ، فبهذه الكلمة تُصلَحُ

انحرافاتُ العبـاد وضلالاتهـم ، وبهـا تُؤسَّس المفهومـاتُ السليمة المستقيمة . وهذا ما حصل فلقد واجه وعالج النبي ﷺ بهذه الكلمة انحرافات عصره عن العقيدة الصحيحة . وذلك لأنَّ لهذه الكلمة مراتب ، كُلٌّ مرتبة تواجه وتعالِج انحرافاً معيَّناً ، أي أنّها تَنْقُضه وتعرضُ بديلَه ، ولقد شرحت آياتُ القرآن الكريم ، وأحاديث النبيِّ ﷺ مراتب هذه الكلمة ، وهي :

- إثبات وجود الله سبحانه وتعالى ووحدانيته .
- أنّ هذا الإله سبحانه هو وحده الخالق المتصرِّف في شؤون البشر .
- أنّ هذا الإله سبحانه هو وحده المُستحقُّ للعبادة والاتباع والطاعة والخضوع . . .

٢) ولقد عرض النبي ﷺ التوحيد بمراتبه كلِّها ، لأنَّه صلى الله عليه وسلم يؤسِّس لعقيدة جديدة ، ولأنّ الانحرافات في عصره كانت متعددة الأوجه . لكنّنا نعلمُ من آي القرآن الحكيم ، ومن سيرة المصطفى ﷺ أنّ التركيز الأكبر

كان على المرتبة الأخيرة ، وهي استحقاقه **وحده سبحانه للعبادة والخضوع والطاعة والاتباع** ، وذلك لأنَّ الانحراف الأكبر والمهمَّ كان في هذه المرتبة ، ولأنّ المراتب قبلها داخلة فيها ، والإيمان بها يقتضيها جميعاً .

٣) ولقد فهم كفار قريش لا إله إلاّ الله كما ينبغي لها أنْ تُفهم ؛ فهموا أنّ الله موجود ، وهذا أمرٌ كانت تؤمن به أغلبيتهم ، وفهموا أنّ الله خالق متصرف رازق . . الخ ، وهذا أمر كانت تؤمن به أغلبيتُهم أيضاً ، وفهموا أنّ الخضوع والاتباع والطاعة يجب أنْ تختصَّ بالله وحده ، ولكنه فهم لم يناسبهم فرفضوه ، وقاوموا الدعوة الجديدة بسببه .

وهكذا كان أقوامُ الأنبياء السابقين، فلقد رفض السابقون -ولا زال النّاسُ كذلك- اختصاصَ الله بالعبادة وتفرُّدَه بالحكم والتشريع ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله . . .﴾ [الشورى: ٢١]، فقضية الأنبياء مع أقوامهم كانت في توحيد الإلاهية، وبعبارة أخرى -إن شئت-: **كان الصراعُ قائماً حول النسبة المسموح بإعطائها لله سبحانه ليَتَدخَّل في الأرض** فأعداء التوحيد يُصرُّون على بقاء

تَصرُّف الربِّ في السماء، والأنبياء يُصرُّون على أنّه سبحانه: ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ [الزخرف: ٨٤]

إذن كان الانحراف الرئيس عند مشركي ذاك الزمان في توحيد الإلاهية، وهو التوحيد الذي وُسِمُوا بالشرك لعدم تحقيقهم له، فهو لُبُّ العقيدةِ الإسلامية، وهدفُها الأساسي.

٤) فكيف كان منهجُ السَّلف في عَرْضِ العقيدة؟

كان منهجهُم يتمثّل في عرض لا إله إلاّ الله بشموليتها وبمراتبها، وبكل مقتضاياتها، مع تركيزهم على ما ركّزَ الله عز وجلّ ورسولُه ﷺ عليه، أعني توحيدَ الإلاهية، لإدراكهم أنّه مفتاحُ الدخول في الإسلام، في حين قد يظنُّ كثيرٌ من الناس أنّ توحيد الربوبية هو المفتاح، مع العلم أنّ توحيد الربوبية أمره بيِّن، فالذي يُنكر تفرُّد الله سبحانه بفعل من أفعاله يكفر عند صبيان المسلمين، أما توحيدُ الإلاهية فقد ينحرف فيه الإنسانُ وهو يظنُّ أنّه يُحسن صنعاً.

هكذا كان منهجهم في الظرف الطبيعيِّ دعوةً وتعليماً.

فكيف كان منهجهم عند سماعهم بانحراف ما؟

ذلك يعتمد على إدراكهم «لواقع» ذلك الانحراف، فإذا أدركوه عالجوه **بلا إله إلاّ** الله، ومراتبها ومقتضياتها المتعلّقة بذلك الانحراف، بل كنت تجدهم إذا خشوا انتشار بدعةٍ عقديةٍ في المجتمع، يجعلونها شغلَهم الشاغل، وهمَّهم الوحيدَ، ومقياسَهم في الانتساب إلى أهل السنّة، موالين ومعادين على أساسها.[1]

وهذا يُفسِّر لك -عزيزي القارئ- تركيزَ الأئمة على مسائل بعينها في مراحل التاريخ المختلفة، والامتحان بها.

فلا تتعجب إذا وجدت كتاباً في العقيدة لايتكلم إلاّ في مسائل الصفات، أو القدر والإرجاء، أو كتاباً لا يتحدث إلاّ في مسائل الكلام ومتعلّقاته، فهذه الكتب لا تُمثّل كلَّ العقيدة، وإنّما تُمثِّلُ القضايا المثارة في تلك الأزمان.

وبعد هذا ندرك لماذا ركّزَ السّلف في مرحلةٍ معينةٍ على

---

(١) من الفقه أن يكبِّرَ العالم الانحراف البارز في عصره ويُضخّمه، ويشتغل به ليلاً ونهاراً ليكون حديث الناس.

تَصرُّف الربِّ في السماء، والأنبياء يُصرُّون على أنّه سبحانه :

﴿ وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله ﴾ [الزخرف: ٨٤]

إذن كان الانحراف الرئيس عند مشركي ذاك الزمان في توحيد الإلاهية، وهو التوحيد الذي وُسِمُوا بالشرك لعدم تحقيقهم له، فهو لُبُّ العقيدة الإسلامية، وهدفُها الأساسي.

٤) فكيف كان منهجُ السَّلف في عَرْضِ العقيدة؟

كان منهجهُم يتمثَّل في عرض لا إله إلاّ الله بشموليتها وبمراتبها، وبكل مقتضاياتها، مع تركيزهم على ما ركّزَ الله عز وجلّ ورسولُه ﷺ عليه، أعني توحيدَ الإلاهية، لإدراكهم أنّه مفتاحُ الدخول في الإسلام، في حين قد يظنُّ كثيرٌ من الناس أنّ توحيد الربوبية هو المفتاح، مع العلم أنّ توحيد الربوبية أمره بيِّن، فالذي يُنكر تفرُّد الله سبحانه بفعل من أفعاله يكفر عند صبيان المسلمين، أما توحيدُ الإلاهية فقد ينحرف فيه الإنسانُ وهو يظنُّ أنّه يُحسن صنعاً.

هكذا كان منهجهم في الظرف الطبيعيِّ دعوةً وتعليماً.

فكيف كان منهجهم عند سماعهم بانحراف ما؟

ذلك يعتمد على إدراكهم «لواقع» ذلك الانحراف، فإذا أدركوه عالجوه **بلا إله إلاّ** الله، ومراتبها ومقتضياتها المتعلّقة بذلك الانحراف، بل كنت تجدهم إذا خشوا انتشار بدعة عقدية في المجتمع، يجعلونها شغلَهم الشاغل، وهمَّهم الوحيد، ومِقياسَهم في الانتساب إلى أهل السنّة، موالين ومعادين على أساسها.(١)

وهذا يُفسِّر لك -عزيزي القارئ- تركيزَ الأئمة على مسائل بعينها في مراحل التاريخ المختلفة، والامتحان بها.

فلا تعجب إذا وجدت كتاباً في العقيدة لايتكلم إلاّ في مسائل الصفات، أو القدر والإرجاء، أو كتاباً لا يتحدث إلاّ في مسائل الكلام ومتعلّقاته، فهذه الكتب لا تُمثّل كلَّ العقيدة، وإنّما تُمثّلُ القضايا المثارة في تلك الأزمان.

وبعد هذا ندرك لماذا ركّزَ السَّلف في مرحلةٍ معينةٍ على

(١) من الفقه أن يكرِّر العالم الانحراف البارز في عصره ويُضخّمه، ويشتغل به ليلاً ونهاراً ليكون حديث الناس.

مسائل الصفات، وجعلوها المعيار، حتى ليعتقد الدارسُ أنَّها وحدها مفتاحُ الإسلام، ومقياسُ الولاء والبراء.[1]

٥) لقد كان من فقه السَّلف أنّهم تجاوبوا مع حاجات واقعهم، وتفاعلوا معه، وكانوا -بالفعل- أبناءَ عصرهم.

وأنت عندما تسمع الشافعي رحمه الله يقول: «القول في السنّة التي أنا عليها، ورأيت أصحابنا عليها؛ أهلَ الحديث الذين رأيتهم، وأخذتُ عنهم، مثل سفيان ومالك وغيرهما: الإقرار بشهادةأنْ لا إله إلاّ الله، وأنّ محمداً رسول الله، وأنّ الله تعالى على عرشه في سمائه يَقرُب من خلقه كيف شاء، وأنّه تعالى ينزل إلى سماء الدنيا كيف شاء»[2].

أقول: عندما تسمع هذا الكلام فلا تعتقد أنّ الشافعي يقصد عرض العقيدة الإسلامية بأركانها وشروطها عرضاً

(١) منعاً للتصيد، وتوضيحاً أقول: لا أقصد التهوين من شأن هذه المسألة، بل أدعو إلى التفريق بين وجوب تعليمها والدعوة إلى القول الحق فيها، وبين جعلهاموضوع امتحان، ومعيار ولاء وبراء في كل الأوقات، في الوقت الذي تكون فيه أمّ القضايا مقصّراً فيها! إنّ الكلام في ترتيب الأولويات فقط.

(٢) مختصر العلو ص ١٧٦.

أكاديمياً تفصيلياً، ولا تعتقد أنّ الذي ذكره هو جميع السنّة[1].

كلا... فالذي يريده الشافعيُّ رحمه الله بيان مسألة شَغَلت الرأي العام في عصره فيقضي فيها ناقلاً موقف السَّلف منها.

وعندما تقرأ كلاماً لابن تيمية رحمه الله يقول فيه: «وقد يراد به أهلَ الحديث والسنّة المحضة، فلا يدخل فيه إلاّ من أثبت الصفات لله تعالى ويقول إنّ القرآن غير مخلوق، وإنّ الله يُرى في الآخرة، ويُثبت القدر وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنّة»[2] تدرك أنّ ابن تيمية رحمه الله يتكلم عن مسائل أثيرت في عصرٍ من العصور، حتى لقد أصبح مصطلح أهل السنّة والحديث لا يُطلق إلاّ على من يُثْبت الأصول المذكورة، وبالطبع ليست هذه المسائل هي وحدهاالتي يُعرف بها أهلُ الحديث والسنّة، وإنّما الكلام عن مرحلة معينة، وموضوع محدَّد.

(١) السنّة في استخدام السَّلف تعني أصول العقيدة.

إنّ كلّ مصطلح تسمَّى به أهلُ السنّة إنّما كان في مواجهة انحراف معين، فهم أهل السنّة في مقابلة أهل البدع والمقالات المُحدَثة، كالشيعة والخوارج، وهم أهل الحديث في مقابلة التوسُّع في الأخذ بالرأي، وهم أهل الإثبات في مقابلة أهل التأويل . . . وإنّه ونتيجة لظروف تاريخية خاصة صار يتبادر إلى الذهن عند سماع لفظ السَّلف مسائل الأسماء والصفات؛ من كلام، ورؤية . . . الخ، أي أنّ هذه المسائل غَدَت فاصلاً بين السَّلف والخلف. **وبهذا اختلط التاريخيُّ المؤقتُ المرتبط بظرف خاص، بالشرعيِّ العامِّ المطَّرد الشامل.**

٦) فما الذي فعله «السّلفيون» في هذا العصر[1]؟

الذي فعلوه أنّهم استحضروا مسألة ترك التأويل في الصفات وجعلوها عديل التوحيد، عليها يُوالون، وعليها يُعادون.

واستحضروا مع هذه المسألة خصوم الإمام أحمد رحمه

(٢)منهاج السنّة النبوية ٢/٢٢١، وكلامه رحمه الله عن لفظ (أهل السنة).

(١) الكلام في واقع الحال، وليس في الدعاوى.

الله فيها، وأخذوا يناقشونهم ويُعنِّفونهم ونسوا مواقف الإمام أحمد وغيره من مخالطة الحكام، أعني خلفاءَ عصره، فما بالك بطواغيت عصرنا؟!

واستحضروا مسألة شرك القبور والتمائم والرُّقَيِّ . . وجعلوها شُغلهم الشاغل؛ وهمَّهم الوحيد دون بقية قضايا العقيدة.

واستدراكاً، وقبل أيِّ اعتراض، فليس الاعتراض على ضرورة تعليم النّاس الحقَّ، ولا على ضرورة توضيح هذه المسائل المهمّة، ولكنّ الاعتراض أنْ تُجعل هذه المسائل موضوع النهضة الوحيد، وأولوية العمل الإسلامي في هذا العصر، مع وجود الانحراف الأكبر، والشرك الأعظم، وهو الانحراف عن شرع الله سبحانه، والشركُ في طاعته، وعدم الخضوع لحكمه، **الذي ينبغي أنْ يكون موضوع التغيير، وأوّل المطلوب**، لا أنْ يوضع على الرفِّ أو يُذكر على استحياء رفعاً للعتب.

٧) إنّ الانتساب لهذا الدين لا يتحقق إلاّ بالكفر

بالطاغوت، وإنّ رأس الطواغيت من يحكم بغير ما أنزل الله. وما نراه من «السّلفيين» غير هذا، وهم إنْ ذكروا هذه المسألة فإنّما يذكرونها بين يدي ضرورة نبْذ التعصب للمذاهب، أو في معرض الكلام النظري لتحقيق المسألة. أي أنّهم لا يتعاملون معها على أنّها هدف من أهدافهم.

إنّهم لا يتعاملون معها على أساس أنّها أعظم شرك في هذا العصر، وأنّها بدعة القرن! فأين العقيدة أولاً؟ وأين لا إله إلاّ الله؟ وأين الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك[1]؟ مع أنّك عرفت -عزيزي القارئ- أنّ توحيد الإلاهية هو أصل عقيدة الإسلام، وأنّ الدعوة إليه هي الواجب الأول والأهم، وبه تُعالَج انحرافاتُ الخلق. **وكما عارض به ابنُ تيمية وابنُ عبدالوهاب شرك القبور، علينا أن نرفض به شرك القصور.**

لكنّ «السّلفيين» قزّموا التوحيد، وحصروه في مسائل معيّنة، فَشَوَّهوا حقيقة الدعوة إلى منهج السّلف، بحيث

(١) وليت الأمر توقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى اتهام من يعمل من أجل هذه القضية بأنه من الخوارج، وجماعات الغلو .... كما سترى قريباً.

أصبحت الدعوةُ إلى «السّلفية» دعوة إلى شعبة من شعب الإيمان!

ومن يقرأ كلام ابن تيمية وابن عبدالوهاب رحمهما الله، ثمّ ينظر في أحوال من ينتسب إليهما لا ينتهي عَجَبُه، وتكفيني قراءة النّصّ التالي لابن عبدالوهاب رحمه الله، ليُقارَن بين فقه هذا الإمام وقضيّته، وبين «سلفية» هذا العصر! قال رحمه الله: «**فالله الله يا إخواني، تمسّكوا بأصل دينكم وأوّله وآخره ورأسه، ورأسُه شهادة أنْ لا إله إلاّ الله، واعرفوا معناها، وأحبُّوها وأحبُّوا أهلَها، واجعلوهم إخوانكم ولو كانوا بعيدين، واكفروا بالطواغيت وعادوهم، وأبغضوا من أحبَّهم أو جادل عنهم، أو لم يُكفِّرهم، أو قال ما عليَّ منهم، أو قال ما كلّفني الله بهم، فقد كَذَب على الله وافترى، فقد كَلَّفه الله بهم، وافترض عليه الكفرَ بهم، والبراءةَ منهم، ولو كانوا إخوانَهم وأولادَهم**»[1].

(١) مجموعة التوحيد ١/١٤١.

٨) لا أريد -في الحقيقة- أنْ أشرح قضية الطاغوت، والحكم بما أنزل الله، فلهاتين المسألتين بحثهما في كتاب آخر، ولكنني أقول وحَسْبي: إنّ بدعة هذا العصر الكبرى هي الحكم بغير ما أنزل الله. وإنّ الشرك الأكبرَ في هذا العصر هو شرك الحاكمية.

وإنّ «السّلفية» الحقيقيةَ هي التي تحارب البدعةَ القائمة، والشركَ الواقع، وإلاّ فإنّ شَتْم ابنِ عربيّ، ونقدَ المعتزلة، واتهامَ القبوريين، سهلٌ جداً، لأنّه نقاشٌ مع الأموات، وصراعٌ مع طواحين الهواء!

نَقَمْتُ على المبرِّد ألفَ بيت

كذاك الحيُّ يَغْلِبُ ألفَ مَيتِ

ثمّ لا بُدَّ من تحديد الموقف وبوضوح، هل «السّلفية» مدرسة متخصصةٌ بمسائل معينة، فليس لنا -عندئذ- أنْ نلومها... أم هي حركةٌ إسلاميةٌ شموليةٌ، هدفُها تغيير واقع المسلمين، واستئناف الحياة الإسلامية -كما يقولون-؟ فلتُحدِّدْ أولوياتها، ولتبيِّن بماذا ستبدأ، وبأيِّ شيءٍ ستمتحن

وعلى أيِّ شيء ستُوالي وتعادي. أمّا أنْ يبقى مقياسُ العقيدة الصحيحة، و«السّلفية» النقيَّة، مسألة الأسماء والصفات، مع عدم الالتفات إلى الأصول الأخرى، فأمر مرفوض، وليست هذه هي «السّلفية» حتماً.

٩) أمّا «السّلفيون» الحقيقيون، بل أمّا أهل السنّة؛ أمّا المسلمون، فإنهم يخاطبون الأمّةَ **بلا إله إلاّ** الله كما أمر ربُّهم، ووصَّى نبيهم ﷺ؛ لا إله إلاّ الله باركانها وشروطها ومقتضياتها. وهم يركِّزون على توحيد الإلاهية الذي جعلَهُ الله سبحانه وتعالى الدليلَ على إسلام المرء.

وإنّ مقياسَهم في الولاء والبراء هو موقفُ النّاسِ من الحاكم بغير ما أنزل الله، ومن الراضي عن الطاغوت. إضافة إلى موقفهم ممن يدعو غير الله، ويستغيث به.

إنّ مقياسَ العقيدة النقيَّة، «والسّلفية» الصحيحة، توحيدُ الإلاهية، **وتوحيدُ الإلاهية هو توحيد الطاعةِ والاتباعِ والخضوعِ في العبادة الفردية وفي التشريع العام.**

بهذا التوحيد نَمتحن، وبه نوالي وبه نعادي.

وإنّ الحكم بشريعة ربِّ الأنام ، هو الذي ينبغي أنْ يكون شعاراً لأهل السنّة ، وفارقاً لهم عن أهلِ البدع الذين يُهوِّنـونُ من شأنِ هذه القضية الخطيرة !

هذا هو منهج السَّلف ، وهذا هو فقهُهُم ، وغير ذلك :

فغـايـةُ القُصـورِ في التـوحـيد

أنْ يـَقْبَــعَ الـتـوحيدُ في القُبور

ويُسكتَ الداعي عن الشرك الجَلي

إذا كان هذا الشرك في القصور(◆)



(◆) هذا البيت اقترحه أحد الإخوة جزاهُ الله خيراً .

«السلفيون» والجرح والتعديل
«اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»

«كان يحيى بن معين يقول في عمرو ابن عبيد إنّه دهري . . .»◆

١) ليس الجرحُ والتعديل المذكور في رأس الصفحة هو الجرح والتعديل الخاص بعلم مصطلح الحديث ، فذلك علمٌ توقف على رأس المائة الثالثة كما قال الذهبيُّ رحمه الله . لكنّه الجرح والتعديل من حيث هو قياس المسلم على مجموعة القيم والثوابت الإسلامية . هذه القيم والثوابت هي التي ينبغي أنْ يُقوَّمَ المسلم على ضوئها ، وأنْ يُوالَى أو

◆ ميزان الاعتدال ٣/٢٧٣ ، وعلّق الذهبي فقال : «لعن الله الدهرية ؛ فإنهم كفار ، وما كان عمرو هكذا» .

يُعادَى عليها، وهي من الوضوح والاتفاق عليها بحيث يُسمّى المُخلُّ بواحدة منها كافراً أو فاسقاً أو عاصياً.

أمّا غيرها من المسائل التي تحتمل الاجتهاد ويسوغ فيها الخلاف، أو المباحات، أو المسائل التي تقتنع بها مجموعة من النّاس، فهذه ليست ميزاناً للقاء والمفارقة، فاللقاء على المنهج وليس على مثل هذه المسائل.

٢) هذه القضية واضحة، أو هكذا يجب أنْ تكون، لكنَّ المشاهَد من حال الجماعات والمذاهب الإسلامية غير ذلك، فكل جماعة تبنَّت مجموعةً من المسائل في الفقه أو في طريقة التغيير... الخ وجعلتها علامةً على الوعي أو على صدق الانتماء أو على صحة وصفاء العقيدة... الخ وغيرها من مصطلحات التعديل.

٣) «والسلفيون» من هذه الجماعات التي تبنَّت مجموعة من الاختيارات، مَن وافقهم عليها فقد نجا، ومن خالفهم فليس سلفياً!

ولقد أصبح قولهم: ليس سلفياً، عبارة من عبارات

التجريح التي يرفعونها في وجه من يجرؤ على مخالفتهم، ولأنّ كلمة «السلف» كلمة عزيزة على قلوب المسلمين، فقد باتوا يَخْشَوْن أنْ تُسلَب منهم، فصاروا لذلك يشعرون بضعف أمام «السلفيين».

٤) والمختلط «بالسلفيين» يلاحظ -من واقع الحال- أنّهم ينظرون إلى «المُتبنْطِل» نظرةَ انتقاص، وينظرون إلى «المُسبِل» نظرةَ استعلاء، ويتكلمون عن إفراد يوم السبت بالصوم من غير الفريضة كأنهم يتكلمون في التوحيد... الخ.

ثمَّ إنّهم يُقيِّمون المسلمين بهذه المسائل، هذا مع أنّها مسائل فقهيَّة يسوغ فيها الاجتهاد، ويُقبَل فيها الخلاف، ولها تخريجات أخرى غير الذي يراه الشيخ ناصر -حفظه الله-.

أين هذا السلوك من قول يحيى بن سعيد: **«ما برح أولوا الفتوى يُفْتُون، فَيُحِلُّ هذا، ويُحرِّمُ هذا، فلا يرى المُحَرِّمُ أنَّ المُحلَّ هلك لتحليله، ولا المُحلُّ أنَّ المحرِّمَ هلك لتحريمه»**.

٥) ضعَّف أحدُهم رجلاً، فقيل له: لم ضَعَّفته؟ فردَّ

الناقدُ «الشاطر» : ذُكِرَ مرةً عند حمّاد فامتخط!![1] فأيُّ سذاجة هذه ؟!

ولا تظنَّ -أخي القارئ- أنّ الأمّة قد خسرت هذه «الشطارة»، فلا زال أمثال هذا الناقد «البصير» موجودين، يجرِّحون بما ليس بِمُجَرِّح، فتجدهم يتَّهمون من يعمل في السياسة! وتراهم يتندَّرون على من يدرس فقه الواقع![2]

ثمّ إنّهم ابتكروا مرتبة جديدة من مراتب الجرح والتعديل، واستخدموا لها عبارةً دقيقة جداً! بلغ من دقتها أنَّك لا تستطيع فهمها إلا وأنت واقف على رأسك! فلقد سئل الشيخ مرةً عن أحد الدعاة الملتزمين بمنهج أهل السنّة[3]، ولكنّه يهتم بفقه الواقع، ويتابع السياسة[4]، فأجاب الشيخ قائلاً: هو سلفيُّ العقيدة، إخوانيُّ المنهج!

فتلقَّف النُّقاد الصغار هذه العبارة ووصفوا بها من كان

(١) قال الخطيب: «امتخاط حماد عند ذكره لا يوجب ردَّ خبره» الكفاية ص١٨٥.

(٢) وهل في هذا مَثْلَبَةٌ؟!

(٣) تعديل.

(٤) جرح.

على شاكلة ذلك الأخ المسؤول عنه! فإذا سُئل أحدُهم عن شخص ما قال: هو سلفيُّ العقيدة، تحريريُّ المنهج! وأنا أجزم بأنه لو سُئل عن معنى هذه العبارة لما وجد جواباً! كيف لا وهو «**كابنة الجبلِ، مهما يُقَل يَقُل**».

ومن العبارات الجديدة التي يقمعون بها إخوانهم قولهم: هذا سُروريٌّ! والعجيب أنّ «السلفيين» ما أن يسمعوا هذا الوصف حتى يُعادوا الموصوف!

ولك أنْ تتساءل متعجباً: لماذا؟ هل قناعة «السلفي» بأنَّ من رأى ضرورة الحياة ضمن الخارطة، وداخل التاريخ، يجعله: سلفيَّ العقيدة، (إخواني أو تحريري أو سُروري) المنهج؟ وهل فقه الحياة خارجٌ عن منهج السلف؟ لقد صدق من قال: عش رجباً ترى عجباً! وما زالت الأعاجيب تَتْرى، كلما انقضى عجبٌ تبعه عجبٌ! وكأنّ الشاعر قصد القوم عندما قال:

جعلتم ذَنْبَنا أنّا سمعنا
وما الآذانُ إلا للسماعِ

٦) والأدهى والأمرُّ من كل مامرَّ، تعديلُ وتفضيل الموافق حتى لو عمل ما عمل!

«فالسلفيون» يجعلون ترك التأويل في الأسماء والصفات عقد الولاء والبراء، فمن لم يُأوِّل فليفعل ما يشاء، حتى لو انحرف في توحيد الإلاهية، وفي الولاء والبراء، ووقع في محظورات شرعية بيِّنة! وهذا عكسٌ للقضية، فإنّ أهل السنّة يُفضِّلون الأتقى لله، ويُعدِّلون بتوحيد الإلاهية الذي من انحرف فيه فقد وقع في الشرك خلافاً لمسألة التأويل التي لا بُدَّ فيها من تفصيل، والخطأ فيها واردٌ لدقَّتها.

قال يعقوب الفسوي: سمعتُ إنساناً يقول لأحمد بن يونس: عبدالله العمري ضعيف؟ قال: إنّما يضعفه رافضيٌّ مبغض لآبائه، ولو رأيت لحيتَه وخضابَه وهيئتَهُ لعرفت أنّه ثقة. أرايت؟! لقد وثَّقه لطول لحيته، وشكل لباسه، ولون خضابه! فما أدقَّه من توثيق! وبما أنّ الرجل محقِّق لهذه المُهمَّات فهو ثقة، والذي يَمسُّه بكلمة مبغض لآبائه! ويُخيَّل إليَّ أنّ لسان حال «السلفيين» يقول: «**لا يَضُرُّ مع إثبات الأسماء والصفات ذنب، كما لا تنفعُ مع فقه الواقع طاعة**»[1].

إنَّ هذه الحالة، حالةٌ نفسيَّة فالملتزم مع جهة معيَّنة يظنُّ من كثرة ما يسمع من اهتمامات جهته أنّ ما يسمعه هو الدين، فتراه -لذلك- ينظر إلى الآخرين نظرة استعلاء، ثم ينظر إلى نفسه وإلى من يحمل آراءه بأنّهم حقَّقوا قمّة الالتزام، فلا تثريب عليهم بعدها إنْ صدر عنهم أيُّ شيء. ومجموعة التبرير جاهزة لتفنيد أيِّ تهمة، فالسرقة اقتباس، وطمس توحيد الالاهية تكتيك...[2] حتى لتظنَّ من كثرة التسويغات أنّهم المعنيُّون بقوله ﷺ «**إعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم**»[3].

(١) تستطيع أن تضع مكان «فقه الواقع» أيَّ عبارة يرفضها «السلفيون».

(٢) مجموعة التبرير هذه موجودة في كل الأحزاب والجماعات، وينطبق على الكل ما ينطبق على «السلفيين».

(٣) جزء من حديث علي رضي الله عنه في قصة حاطب وفيه قول النبي ﷺ: «لعل الله اطلع على أهل بدر فقال...» الحديث. البخاري مع الفتح. كتاب المغازي/ باب فضل من شهد بدراً/ حديث ٣٩٨٣.

« سلفية أم ألبانية » ؟!

«ما اختلف فيه الفقهاء فلا أنهى أحداً من إخواني أنْ يأخذ به» «سفيان الثوري»

«السلفيون» والفقه

١) يتعامل «السلفيون» مع مسائل الفقه كما يتعامل المسلمون مع قوله تعالى ﴿ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠]، فالرأي الذي يَرونه هو الرأي، والقاعدة عندهم معكوسة منكوسة[1]، **فرأيهم صواب لا يحتمل الخطأ، ورأي غيرهم خطأ لا يحتمل الصواب!.**

(١) وصواب القاعدة: رأينا صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيرنا خطأ يحتمل الصواب.

وهذا المنحى مخالف لمنهج السلف في الاجتهاد[1]، فما زال العلماء يختلفون فلا يُنكر بعضهم على بعض، ومازالوا يُنبِّهون على أنّ الخلاف في مسائل الفقه، لا يقتضي موقفاً من الآخرين، وهذه بعض عباراتهم:

قال سفيان الثوري رحمه الله: «**إذا رأيتَ الرجل يعمل العمل الذي قد اختُلِفَ فيه وأنت ترى غيره فلا تَنْهَهُ**».

وقال أحمد رحمه الله: «**لا ينبغي للفقيه أنْ يحمل النّاسَ على مذهب ولا يُشدِّد عليهم**». ورفضَ مالكٌ رحمه الله أن يُلزِم المنصورُ الأمةَ بكتاب الموطأ مع أنّه يُمثِّل مدرسةَ المدينة التي هي أفضل مدارس الفقه الإسلامي كما وضحه شيخُ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.[2]

وقال ابن تيمية رحمه الله: «**والواجب على النّاس اتباع ما بعث الله به رسوله، وأمّا إذا خالف قولَ بعض**

(١) من المعلوم أن اللقاء يكون على المنهج، والمنهج في الفقه هو: اتباع السنّة، وتحرِّي الصحيح، وعدم التعصب للمذهب....

(٢) ولو أنّ أحد هؤلاء «السلفيين» تولّى على قرية -لا قدّر الله- لألزمها بكتابه الشخصي الذي مسخ فيه أحد كتب السابقين!!!

الفقهاء، ووافق قول آخرين، لم يكن لأحد أنْ يُلزمه بقول المخالِف، ويقول: هذا خالف الشرع».

٢) وقد سبق وأشرتُ إلى بعض المسائل في المبحث السابق التي ألحقها «السلفيون» بدائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[١]، مثل مسألة اللباس، والإسبال، وصيام السبت، وعدد ركعات التراويح، وأخذ ما زاد عن القبضة من اللحية[٢].... وللحقيقة فإنَّ بعضهم ما عاد يُثير هذه المسائل، لكنَّ الجوَّ العام عند «السلفيين» النظر لمن يخالفهم في هذه المسائل نظرة انتقاص، حتى إنّ بعضهم يتحرَّج من الصلاة خلف المُتَبَنْطِل!

(١) ذكر غير واحد من العلماء المحقِّقين أنَّ الخلاف الفقهي في مسألة ما يخرجها من دائرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وأشيرُ بأنَّ للقاعدة استثناء لا علاقة له بمحلِّ البحث.

(٢) جاءت الأخبار أنَّ الطالبان في أفغانستان، يسجنون من يأخذ من لحيته أكثر من القبضة! وقد اقترح بعض الظرفاء تحديد قبضة ثابتة تكون مقياساً، وتسميتها «مقياس لِحْتَر» قياساً على «مقياس ريختر» الخاص بالزلازل! «والسلفيون» وإن كانوا مختلفين عن الطالبان في المنهج، إلاّ أنه اختلاف في الشكل والدعوى، ولكن الجميع يتعامل مع المخالف بنفس الطريقة؛ وهذا هو واقع الأمة جميعها، سواء منهم الإسلامي أو الديمقراطي أو العلماني أو الشيوعي....

ولعلهم -وهذا ظنٌّ منّي- يَعدُّون الأخذ باختياراتهم في هذه المسائل من الأولويات؛ أولويات الدعوة، لأنّهم يفهمون -وهذا ظنّ منّي أيضاً- أنّ الالتزام بهذه المسائل داخل في قول الإمام مالك رحمه الله: «**لا يصلح آخر هذه الأمّة إلاّ بما صلح به أولها**»!

٣) والذي يظهر لي -والله أعلم- أنّ الآفة السابقة مرتبطة ارتباطاً عضوياً بالآفة التالية:

وهي أنّ «السلفيين» يتعاملون مع فقه الشيخ ناصر -مثلاً- واختياراته، وكأنّه فقه السلف، هكذا بالألف واللام الدالتين على العهد والاستغراق. ونتيجة لهذه الآفة تتشكل القضية في عقل «السلفي» على النحو التالي: إذا كان هذا هو فقه السلف، فالفقه الآخر خارج عن فقه السلف، وهي معادلة تُلقي في رُوع «السلفي» تلقائياً أنّ الفقه الآخر فقه مذموم. وهي نتيجة لها انعكاس على السلوك والمواقف.

٤) علم نفس الدليل!

والسؤال المهم في هذا السياق هو: لماذا يتصرف «السلفيون» هكذا؟!

لأنّ هذه الآفة مبنيَّة على مقدِّمات عن الاتِّباع، والدليل والسلف، والحديث الصحيح، والتزام السنّة، وفتح باب الاجتهاد، .... وكما ترى فإنّها مقدمات صحيحة، فلا اعتراض عليها، وإنما البحث في كيفية التعامل معها، وفي المآل الذي آلت إليه طريقة «السلفيين» في استخدامها.

والذي يحدث أنّ المسلم إذا عرف عن عالم بأنّه يأخذ بهذه المقدمات ويدعو إليها، ينشأ عنده نوع من التسليم لفتاوى هذا العالم من دون نقاش! وقد كنت ألحظ هذا المزلق من نفسي: فعندما كنت أسمع فتوى لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله -مثلاً- أجد اطمئناناً وقبولاً لا أجده عندما أسمع فتوى للشافعي رحمه الله، أو لغيره من المجتهدين، وكأنهم يُفتون بلا أدلة!

وهذا هو موقف «السلفي» من فتاوى الشيخ ناصر

-حفظه الله- حيث يتقبلها باستسلام لوجود نفس المقدمات -المشار إليها- في ذهنه، وهو بعد ذلك يحاول فرض الفتوى على الآخرين من خلال التقديم بهذه المقدمات، فتفعل فعلها في نفوسهم. ولك أنْ تُسمِّي هذه الحالة بعقدة الدليل، أو برعب الدليل[1].

هذا هو السبب -باختصار- الذي يؤدي إلى التعامل مع فتوى الشيخ، وغيره، بما يلي:

أ- بنظرة أحادية، أي أنّها الحق الذي لا مِرْية فيه، وغيرها خطأ لا صواب فيه!

ب- بأنّها هي «الفتوى السلفية».

٥) لقد أدّى هذا الوضع إلى قيام مذهب جديد، بكل ما تعني هذه الكلمة من معنى، أو لنقل بكل الأركان التي لا بُدّ من توفرها لقيام مذهب؛ فهناك:

إمام مجتهد، ومؤلفات، ومنهج أصولي، وفتاوى،

---

(١) لا يفوتنّك أن لكل جماعة عقدة، فعقدة الاخوان: الكثرة والأوليّة وعقدة التحريريين: الوعي السياسي والعمق الفكري وعقدة التبليغيين: التجرد عن الدنيا والخروج في سبيل الله، والزهد ...

ومقلدون متعصبون! فماذا بقي؟! أليس هذا مذهباً ؟

وحتى لا أفهم بصورة خاطئة فإنّني أبيِّن ما يلي :

لا اعتراض على أنّ الامام مجتهد، ولا على أنّ المؤلفات مهمّة ونافعة، ولا على أنّ المنهج الأصولي -في أغلبه- مقبول[1]، ولا على أنّ الفتاوى المستمدّة من هذا المنهج علميَّة -في أغلبها- إنّما الاعتراض على المقلّدين المتعصِّبين، وعلى المقلَّد الذي يرى ويسمع ولا تعليق!

٦) وعليه فلك أن تعجب، إذا عرفت أنّ منهج أهل السنّة العلميّ الذي دعا إليه «السلفيون» منذ زمن عدمُ وضع أيِّ عالم مهما بلغت درجته العلمية في منزلة من لا يُسْأل عمّا يُفتي، أو عمّا يُصحِّح ويُضعِّف من الأحاديث.

وإليك بعض الأمثلة على ما قلت:

المثال الأول: يعرف طلاب الحديث أنَّ تسمية عالم ما لكتابه «بالصحيح» لا يعني أنه كذلك، ويعرف طلاب الحديث لذلك عدم كفاية الإحالة عند التخريج على كتاب

(١) باعتبار أنّ الظاهرية مقبولة في الجملة وهو قريب منها أو نوع منها.

وُسِم بالصحة، أو على حديث صحَّحه أحد النّقاد دون مراجعة.

وهذه قاعدة أكَّد عليها «السلفيون» كثيراً، وقد سِرْنا على ذلك مع أمثال أبي داود، والترمذي، وابن خزيمة، وابن حبّان رحمهم الله.... حتى إذا استقرت القاعدة أو كادت، إذا بالكتَبَة «السلفيين» يُخرِّجون الأحاديث في الحواشي بطريقة رفضوها في حقِّ الترمذي وأقرانه، وقبلوها في حقِّ الشيخ ناصر! فما ينفع القارئ أن يقول له كاتب «سلفي»: صحيح الجامع، أو صحّحه شيخنا[1]؟! هذا مع أنّهم لا يقبلون من غيرهم قولَه: حسَّنه الترمذيُّ. فإن قيل: ثبت أنَّ تحسين الترمذيِّ لا يَطَّرِد.

قلنا: وثبت أيضاً أنّ تصحيح الشيخ لا يطَّرد.

المثال الثاني: ما معنى أنْ يؤلف «السلفيون» كتباً عارية عن الدليل؟ ولماذا عليَّ أنْ أقبلها، في الوقت الذي يَحرُم

(١) دعك من السرقات أو الاقتباسات! دون إشارة أو إحالة. ممّا أثار حفيظة الشيخ مؤخراً على أحدهم من الذين يُكثرون من الاقتباسات! فتم سحب الختم منه، وأخرج من «السلفية» مذؤوماً مدحوراً!!

عليَّ فيه أن أعتمد على كتابٍ لعالمٍ لا يدَّعي بأنَّه سلفي إذا كان الكتاب بلا أدلَّة ؟

الجواب واضح إذا استحضرت عقدة الدليل فالأول يقول لك : لقد اعتمدتُ الدليلَ الصحيح ، ولقد تحرَّيتُ اتِّباع السنّة ، ولم أتعصب ، ولم أقَلِّد الرجال . . . الخ

هذه العناوين التي ما أنْ يقرأها المسلم حتى يَقبل تبنِّيات الكاتب «السلفي» باستسلام مُطلق .

وهذا تجده في بعض رسائل الشيخ ناصر ، وكتب الشيخ محمد شقرة ، فلماذا هذا التراجع عن المنهج؟!

المثال الثالث : حذَّر العلماء سابقاً من نمط من الطلاب الذين يعتمدون على الكتب وحَسْب ، وسمّوا من هذه حاله «بالصُّحفي» . ومع تقدُّم وسائل الاتصال ! نَبَتَ طلاب من نمط جديد يعتمدون على الهاتف ! لا مانع من تسمية من هذه حاله «بالهاتفي» ! فمن هذا «الهاتفي»؟

إنّه الذي يتصل بالشيخ ناصر ليستفتيه ، فيجيبه الشيخ باختصار يتناسب مع الوقت المخصَّص للمكالمات ، فإذا

حاول السائل التَّحقُّق والاضافة يضيق الشيخ به ، ولا يسمح بالإطالة ، وإلى هنا لا حرج ولا تثريب .

لكنَّ الحرج والتثريب في طيران ذلك «الهاتفي» بالفتوى لينشرها على الملأ ، وهو لا يدري -لأنّه «هاتفي»- من أين أخذها الشيخ ، ولا كيف استنبطها ، وهل تصلح لكلّ نازلة؟ وكيف يُحقِّق مناطها؟ وتجده إذا سُئل أجاب ، وإذا نوقش ناقش ، فإذا سألته من أين لك هذا؟ أجابك -وهو مسرور- : سألت الشيخ على الهاتف ، ثم بعد ذلك يقول لك : أنا مجتهد ، أنا متَّبِع !

حبذا الصُّحف ، وحبذا التقليد ،

في زمن الهواتف والتقييد .◆

٧) هناك ظاهرة أخرى مهمَّة ؛ وهي صالحة لتُجعل سبباً من أسباب رفض كثير من النّاس اتّباع منهج السلف ، وهي صالحة -كذلك- لتُلحَقَ بكل المباحث ، لأنها سبب في مخالفات «السلفيين» لأهل السنّة .

◆ التقييد بفتوى فلان وفلان .

إنّها ظاهرة الضعف «في الأصول، والفهم الدقيق» الذي يفصل بين الأمور.

وهي ظاهرة شكا وحذّر منها العلماء قديماً، أعني علماء الحديث من أهل السنّة وليس غيرهم، فلقد شكى الخطيب البغدادي من صنف ينتسب إلى الحديث، ولا يتفقه فيصبح بسلوكه ومواقفه مثلبةً للمدرسة التي ينتمي إليها.

قال رحمه الله: «**وإنّما أسرعت ألسنةُ المخالفين إلى الطعن على المحدّثين لجهلهم أصول الفقه وأدلته في ضمن السنن، مع عدم معرفتهم بمواضعها**»[1].

وقال: «**وليُعلم أنّ الاكثار من كتب الحديث وروايته لا يصير بها الرجلُ فقيهاً، إنّما يتفقّه باستنباط معانيه، وإنعام التفكُّر فيه**»[2].

وقال: «**ولا بُدّ للمتفقه من أستاذ يدرس عليه،**

---

(١) نصيحة أهل الحديث ص ٤٠.

(٢) السابق، ص ٤٢.

ويرجع في تفسير ما أشكل إليه، ويتعرف منه طرق الاجتهاد، وما يُفرّقُ به بين الصحة والفساد»[1].

وقد لاحظ الذهبي رحمه الله ما لاحظه الخطيب، فقال عن محدّثي زمانه: «**فغالبهم لا يفقهون**»[2].

ونحن إذ اصطدمنا بما اصطدم به الخطيب والذهبي رحمهما الله، لا نزيد عن التحذير مما حذّرا، ونُسجّل رفضنا لسلوكات وفقهيات صارت عنواناً على مدرسة الحديث ومنهج السلف، فإن أحفاد أولئك[3] متوافرون يُشوّهون المدرسة، ويُسيئون للمنهج.

٨) ظاهرة أخيرة، وهي تصدُّر الأصاغر للفتيا،

---

(١) السابق ص ٣٧.

(٢) زغل العلم ص ٣٧. وقد سُئل بعضهم: متى يكون الأدب ضاراً؟ فقال: إذا نقصت القريحة، وكثرت الرواية.

(٣) أصحاب الخطيب والذهبي رحمهما الله. وآخرهم -وليس الأخير- الذي انتُخب نائباً، فكان أول فعل قام به زيارة «الكنيست اليهودي». وقد برّر الزيارة بأنّه لم يجد ما يمنع! يعني أنّه لم يجد نصاً يقول: «يا فلان إذا صرت نائباً فلا تزر الكنيست اليهودي». لاحظ أنّ كل كلمة في النص يجب أن تكون واضحة فتعيين الشخص، ووصفه بأنه نائب وتحديد مكان الزيارة ضروري جداً. وإلاّ فإنّ التحريم لا يشمله، وسيقول عندها: لم أجد دليلاً يمنعني!

وهجومهم على التصنيف!

وقد قال ابن مسعود ﷺ: «**لن يزال النّاس بخير ما أخذوا العلم عن أكابرهم ، فإذا أتاهم عن أصاغرهم فقد هلكوا**».

الملاحظ أنّ الإكثار من جمع كتب الحديث، وحفظ الأحاديث الضعيفة، أصبحا دليلاً -شبه وحيد- من أدلة تحقُّق العلم، والانتساب إليه، ولما كانت هذه ميسورة هذه الأيام أصبح الأصاغر مقصودين!

وانتشرت «جرثومة» اسمها «جرثومة» التحقيق، والفهرسة، فما أن يدور «الفتى» حول نفسه دورة أو دورتين حتى تصبح غاية طموحه، ومنتهى أربه تحقيق كُتيِّب، أو إعداد فهرس، وهو إن فعل ذلك أصبح من المشار إليهم بالعلم!

لقد تحوَّل الواجب الذي نادى «السلفيون» به وهو «العلم قبل العمل»، إلى نوع من الاحتراف، وأصبح التصنيف ممسوخاً في شكل تحقيقات لكتيبات في مواضيع ممجوجة

أنهكَت بحثاً، أو مسخ لكتب علماء الإسلام يسمونه اختصاراً، وما أسهله من عمل فما عليك إلاّ أن تشطب على ما تريد وتعطي الباقي للمطبعة، مع أنّ المكتبة الإسلامية تفتقر لأبحاث جادة تجبُرُ النقص، وتُغذّي احتياجات الحياة المعاصرة. ولكن لأنها مواضيع يلزمها علماء حقيقيون، يتمُّ الهروب منها إلى الفهرسة واجترار الرسائل التي وَصَفْتُ، فهذه يستطيعها «الفَنّيُّون»[1].

٩) وأخيراً، فقد كان المأمول أن يبقى «السلفيون» متمسكين بالشعارات التي رفعوها عن التعصب المذهبي، والغلو في الأئمة، وجمع شمل الأمّة، والتواضع العلميّ، والتضلع بالعلم، وعدم جعل باب من أبواب العلم دليلاً وحيداً على علم العالم... ولكنهم -وللأسف- تنكّبوا كل ما رفعوه، فخالفوا منهج السلف.

---

(١) الفنّيُّ هو الذي يستطيع التعامل مع معطيات موجودة أمامه، فيُنظِّمها، ويُصلحها، ويختصرها... لكنه لا يمتلك القدرة على الابتكار أو الربط أو الابداع، فهو دائماً يدور في فلك المبدعين، لذلك تجده يبلع، ولا يهضم، فيجتر، فيلفظ،... ثم يقبض.

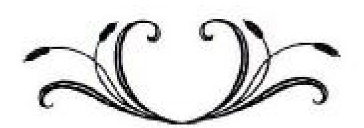
والناظر في أحوالهم يلمس غلواً في مشايخهم، وتعصُّباً لأقوالهم التي غدت مذهباً يوالون ويعادون عليه، واستعلاءً علمياً، بحيث لا عالم عندهم إلاّ الذي يقرأ بعض الكتب، ويتشدق بمصطلحات خاصة.

إنّ الأصل الأصيل من أصول أهل السنّة جمعُ شمل الأمة، وعدم تمزيقها إلى مذاهب وفرق، ولقد كان الظنُّ «بالسلفيين» تحقيق هذا الأصل، ولكنهم تحولوا إلى مذهب جديد، فرسَّخوا التشرذم، وعمَّقُوا -بممارساتهم المذهبية- الفُرْقة.

فانطبق عليهم ما قاله الشاعر:

أتَيْنا إلى سعدٍ ليَجْمَعَ شَمْلَنا

فشتَّتنا سعدٌ فمالنا من سعد



«السلفيون» والتغيير

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾ [الأنفال: ٣٩]

﴿فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً﴾ [الفرقان: ٥٢]

﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت﴾ [هود: ٨٨]

١) كيف سيستأنفُ «السلفيون» الحياة الإسلامية؟

أو قبل «كيف» هذه، هناك سؤال ينبغي أنْ يسبقها وهو: هل يُفكِّر «السلفيون» في هذا الموضوع؟ وما هو حجم الحيِّز الذي تشغله هذه القضية من اهتماماتهم؟

كانت بداية «السلفية» المعاصرة بداية علمية، تدعو إلى مجموعة من الأصول المعلومة، وجهدهم الذي تعلّق بالواقع انصبَّ على محاربة المذهبية، والشرك المتعلّق بالقبور والرُّقى والتمائم والبدع العملية المنتشرة في الأمة، ولم يكن لهم جهد -ولم يزالوا كذلك- يتعلّق بالواقع العام للأمّة، ولم يطرقوا من توحيد الإلاهية ما يتعلق بالحاكمية والتشريع.

بل إنّ رموز «السلفية» يفتخرون بعدم وجود علاقة لهم بالسياسة، ففي نظرهم أنّ «السّلفية»: «كلمة تنفي بمعناها المتبادَر منها، أيَّ معنىً يدلُّ على حركة سياسية...»[1] ومن يفهم ذلك «فإنّه مخالف، ولنهج السّلف غير سالك»[2].

إنّ المتتبِّع لرسائل «الدعوة السلفية» يجد أمراً جديراً بالملاحظة، وهو أنّ استئناف الحياة الإسلامية لم يكن من ضمن أهدافهم التي اعتادوا على ذكرها على الغلاف

(١-٢) من كلام الأستاذ محمد شقرة في رسالته «لا دفاعاً عن السلفية لا، بل دفاعاً عنها».

الأخير لرسائل «الدعوة السلفية»، ثم منذ سنوات درجوا على ذكرها، استجابةً -كما يبدو- لضغط التيار الإسلامي الذي يدعو إلى استئناف الحياة الإسلامية، فأضافوها مجاملةً ورفعاً للعتب.[1]

٢) والحقيقة أنّ الأمر لو وقف عند هذا الحدّ، لقلنا: لهم اجتهادهم، ولهم اهتماماتهم وأهدافهم التي يسعون إلى تحقيقها في الأمة، وهذا غاية جهدهم، ومنتهى اجتهادهم، فجزاهم الله خيراً.

لكنّ القوم لم يلزموا غرزهم، ولم يقنعوا باجتهادهم وجهدهم، ولم يرضوا بأن يكون للخلق اجتهاد وجهد، فصاروا في الآونة الأخيرة ينشطون في المجالات التالية:

أ- تشويه منهج السلف والانحراف به عن الجادة، من خلال وصفه ببعده عن السياسة والافتخار بذلك.

ب- نَبْزُ المتمسّكين بأصول أهل السنّة، بألقاب ليست

(١) كفى بهذه دليلاً على أن هذا الموضوع لم يكن لهم على ذُكْر.

مطابقة للواقع[1] ؛ فهذا : إخوانيٌّ ، وذاك : تحريريٌّ ، وثالث : سُروريٌّ ، ورابع : خارجيٌّ ، وخامس من جماعات الغُلُوِّ ، وسادس : يُذكِّر بالطوائف المارقة من الإسلام . . . الخ من قاموس ألقاب الجرح والتصنيف «السَّلفي» . ولماذا كلُّ هذه الألقاب؟ لأنّ المُتّهم -في نظر «السَّلفي» طبعاً- يعيش ضمن الخارطة ، وداخل التاريخ ، فيرى وجوب الاهتمام بالواقع والسياسة ، وينتهج منهجاً في التغيير أدّاه إليه اجتهاده ، وهو إنْ فعل ذلك أخرجه «السلفيون» من «السلفية» وكأنها حكر عليهم ، وكأنّهم قيِّمون عليها . وهم لا يدرون بأنّهم -بفعلهم هذا- مُبتدعون ، مخالفون لمنهج السلف ، وخطٌّ أهل السنّة ، وأنّهم -عرفوا أم لم يعرفوا- أدوات في أيدي الجاهلية تضرب بهم الدعاة العاملين .

وإذ كان ذلك كذلك ؛ من الخطورة وتشويه الحقائق ، والانحراف عن «السلفية» و«بالسلفية» عن مضمونها الحقيقي ،

---

(١) حتى وإن كانت مطابقة للواقع ، فأسلوبهم ليس هو الأسلوب ، وهم ليسوا حجةً على الناس ، ولا مُمثّلين للمنهج ، لأنّهم أبعد الناس عنه .

وهو رفض الشرك في أجلى صوره ، أعني تحكيمَ غير الله في الحياة ، كان لا بُدَّ من مناقشة هذه المسألة الخطيرة ، وذكر القوم بما فيهم ، تنبيهاً لهم ، وتعليماً لغيرهم أنْ : **ليست هذه هي «السلفية»** في موقفها من الواقع ، ومن شرك الحاكمية ، ومن العاملين للإسلام ، ومن السياسة . ومن يدعي ما يدعيه القوم خارج عن منهج السلف ، مبتدع بدعة عظيمة ، فوجب -والحالة هذه- بيان بدعته ، لما فيها من تلبيس على الخلق ، وإضلال لهم باسم السَّلف .

قيل للإمام أحمد رحمه الله : «**الرجل يصوم ويُصلي ويعتكف ، أحب إليك ، أو يتكلّم في أهل البدع** »؟

فقال : « **إذا قام وصلّى واعتكف ، فإنما هو لنفسه ، وإذا تكلّم في أهل البدع فإنّما هو للمسلمين ، هذا أفضل**»[1] .

٣) «السلفيون» والسياسة :

سبقت الإشارة إلى افتخار «السلفيين» بانعدام العلاقة

---

(١) مجموع الفتاوى/ جزء الجهاد/ ٢٣١ .

بينهم وبين السياسة، وذلك في قول الأستاذ محمد شقرة عن «السلفية» بأنها: «**كلمة تنفي بمعناها المتبادر منها أيّ معنى يدل على حركة سياسية**»[1].

ولما كانت الجملة موهمة، تحتمل وجهين، فإنّني سأتعرض لهما:

الوجه الأول: إن كان الأستاذ يقصد أنّ «السلفية» ليست حركة سياسية، بمعنى أنها ليست حزباً سياسياً بالمعنى الاصطلاحي لكلمة حزب «فالسلفية» كذلك.

الوجه الثاني: أن يكون قصد الأستاذ أنّ «السلفية» لا تهتم ولا تشتغل بالسياسة، فهذه دعوى مرفوضة، «**وتهمة**» منكرة يُراد للمنهج السلفي تلبُّسها.

فما الذي يفهمه «السّلفيون» من كلمة سياسة؟ ولماذا يتوترون عند سماعها؟

السياسة هي: إدارة الواقع، والتعامل معه، والسياسة: هي الحركة من أجل تجسيد الأفكار في

(١) لا دفاعاً ....../٣.

واقع الحياة. فهل يفهم «السلفيون» السياسة على غير هذا الوجه؟ وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إلاّ سياسة؟

فإن كانوا موافقين على هذه المعاني، لكنّ الكلمة تثيرهم، فلا مشكلة حينئذ، ونحن نتنازل عن الكلمة، وعياً منّا لأهمية المضمون والاتفاق عليه، حيث تفقد المصطلحات -عندها- أهمِّيتها فلا مشاحة فيها.

٤) «السلفيون» وفقه الواقع:

كنّا نعتقد أنّ قضية إدراك الواقع قضية منتهية، قد حَسَمَها الحسُّ الإسلامي منذ نزل القرآن، إذ يدرك العقل المسلم أنّ فقه الواقع أحدُ شرطي الانتهاء إلى حكم شرعي. فبما أنّ الأحكام الشرعية تتعلق بالحياة كلّها، وبما أنّ المسلم مخاطَب بعمارة الارض، وبما أنّ المسلم مُلْزَم باستبانة سبيل المجرمين، لكل ذلك، فإنّ فقه الواقع قضية محسومة.

هكذا كنّا نعتقد . . ، ثم إنّه ألّفَ أحد المشائخ رسالة في فقه الواقع يذكر فيها أهميته وضرورته ، وهي رسالة صغيرة متواضعة ، كل ما فيها معروف لدى أهل العلم والحكمة ، لكنّها بالنسبة للبيئة التي نُشرت فيها جديدة ، فهي لذلك إنجاز مهم ، وجهد مشكور . وعندما قوبلت هذه الرسالة باهتمام ، ووجهت الشباب «السلفي» إلى الالتفات إلى قضايا ومشاكل كانت غائبة عنهم ، رأينا ردّ فعل عجيباً من «السلفيين» حيث صدرت لهم في التعليق على تلك الرسالة رسائل تُهوِّن من شأن فقه الواقع . وصرت تسمع كلمات غريبة مثل : **«إنّ فقهَ فقه الواقع أنْ تدع فقهَ الواقع ، ليَستَحْكِمَ عندك فقهُ الواقع ، فتكون من أعلم النّاس ، وأفقههم بفقه الواقع»**[1] .

وهذا منطق عجيب صورةً ومعنى ، ولا داعي للرد عليه لظهور ضعفه ، فمخالفته لسنّة الرسول ﷺ ، ومنهج سلف الأمّة واضحة ، ومناقضته للعقول السليمة بيِّنة ، وهو ليس

(1) هي السلفية نسبة وعقيدة ومنهجاً/ ١٤٨ . ويمكن لمن يُعيد هذه الجملة ثلاث مرات دون خطأ أن يُعطى جائزة .

لغزاً ، بل إنّه كلام موجود في كتاب علمي !! .

٥) لا أعرف لماذا عقّدوا هذه المسألة الواضحة ؟ ! ولمصلحة من ؟

ألأنّ قطاعاً كبيراً من الشباب «السلفي» بدأ ينتبه إلى واقعه ولزوم تغييره ، بعد أنْ وجد أنّه قضى رَدْحاً من عمره مُهتماً بواقع الأئمة ، أحمد ، وابن تيمية ، وابن عبدالوهاب رحمهم الله ، يوالي أتباعهم ، ويعادي خصومهم ، ويحيا مشاكلهم ؟ .

أم لأنهم رأوا أنّ اهتمامات الشباب «السلفي» كبرت ، وآفاقهم اتسعت ، فلم تعد محصورة في مسائل معينة ، بل صارت تتجه إلى شرك الحاكمية ، واستئناف الحياة الإسلامية ، على الحقيقة ، ونقد الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي يخصُّ جاهليةً قائمة ، وخصوماً ملموسين ؟

أمن أجل هذا بدأت ألسنة بعض المتكسّبين تجلدهم ، وأقلامهم تطعنهم ؟

وأسأل مرة أخرى : لحساب من ؟

لحساب من يراد من «السلفية» أن تقبع في القبور؟

لحساب من يراد من «السلفية» أن تتحول إلى دار نشر ، تُوظِّف مجموعة من الكَتَبة الذين يحترفون تحقيق رسائل ، جهلُها لا يضر ، وعلمُها لا ينفع ، رسائل لا يخرج تداولها -عند التدقيق- عن كونه تجارة ورق .

لحساب من يُراد «للسلفية» أن تبقى محصورة في تصفية الأحاديث ؟ وإلى متى؟ خصوصاً وأنَّها عملية لا تنتهي فاللاحقُ يُصفِّي ما جمع السابق .

لحساب من توضع الأيدي على آيات توحيد الإلاهية ، ويُهمل شرك الحاكمية ، ويُسكت عن الطاغوت ، بل ويُوالى ويُحَب ويُمْدَح؟

أسئلة مشروعة تحتاج لإجابات واضحة ، وتقتضي من الإخوة «السلفيين» لحظة تأمل ، لعلنا وإيَّاهم نحيي منهجاً للسلف اندرس ، ونسير في طريق لأهل السنّة انطمس .

ولعلنا وإيّاهم نحيي سنّةً لرسول الله ﷺ في عداوة

الطاغوت ، ونصر التوحيد .

٦) مشكلة «السلفيين» وغيرهم ، أنهم يلحقون واقعنا بواقع السابقين فيتعاملون مع حكام هذا الزمان ، كما تعامل السابقون مع حكامهم ، ويُسقطون النُّصوص النبوية التي تتحدث عن الحكام الظالمين ، على واقعنا نحن حيث الكفر البواح .

ومثالاً على ذلك ، تكلم الأستاذ محمد شقرة عن علاقة «السلفية» ودعاتها بالأمراء مستشهداً بتاريخ الدعوة ، قائلاً : « ولطالما كان تواصل بينهم -أي علماء الدعوة السلفية- وبين الأمراء -لُبُّه النصيحة الأمينة ، ولُبابه الدعوة إلى الله -أسعد الأمة ، وأشاع فيها العدل والأمان . . . »[1] .

ومع أنَّ هذا الكلام ترفضه غالبية سِيَر السلف ونصائحهم نسأل :

هل أمراء ذلك الزمان ، كأمراء هذا الزمان؟!!

---

(١) لا دفاعاً . . ./١٤ .

ويذكر النُّصوص النبوية التي تدعو إلى الصبر على جور السلاطين المسلمين، ويسحبها على واقعنا حيث -كما قلت- الكفر البواح، فأيّ قياس هذا ؟!

والغريب أنَّ الأستاذ ذكر نوعي نظام الحكم الذي يقوده رجل مسلم[1]، والذي إمّا أن يكون عادلاً، وإمّا أن يكون ظالماً، ولم يذكر لنا الحالة الثالثة، وهي التي يكون فيها الحاكم كافراً، أو التي يظهر فيها الكفر البواح، وهي حالة ينطبق عليها آخر حديث ذكره في جملة أحاديث تدعو إلى الصبر، فإنّه ﷺ لما سُئل: هل يخرج المسلمون على أمرائهم إن ظلموا؟ قال: «لا، ما أقاموا فيكم الصلاة، إلاّ أن تروا كفراً بواحاً»[2]. فإن قال -الغالي الخارجي-[3]! : فقد رأينا كفراً بواحاً، فهل نخرج؟! وإن سألتُ بدوري: هل يشكُّ مسلم درس التوحيد في كفر معظم الدساتير والقوانين التي تحكم العالم الإسلامي؟

(١) انظر ص ١٥ من رسالته لا دفاعاً.
(٢) السابق / ١٦.
(٣) على الحكاية؛ حكاية وصفهم للذي يخالفهم في هذه المسألة.

٧) ثم ليكن معلوماً أنّ علماء السلف عندما اختلفوا في تغيير حكام زمانهم، فانما اختلفوا في حكام مسلمين فيهم انحراف؛ من ظلم أو فسق... أمّا الخروج على الكافر، أو تغيير النظام الذي ظهر فيه الكفر البواح فهذا ما لا خلاف فيه.

ومع ذلك، فليس لأحد أنْ يدعي أنّ عدم الخروج على الفاسق أو الظالم **هو فقه السلف**، وأنّ الخروج خارجية وغلو، فإنّه إنْ ذكر عالماً من السلف يرى عدم الجواز، ذكرنا عشرةً يرون الجواز فمن هو «السلفي»، ومن هو **الموافق** لعقيدة السلف*، إذن ؟!!![1]

* كذا قلتُ، والحق أنّ هذا الموضوع ليس من العقائد، بل هو من الأحكام الشرعية، فالتعبير عنه «بالعقيدة» خطأ.
وقد ناقشتُ هذه القضية، ودعوى الاجماع فيها في كتاب «الأمة والسلطة».

(١) ذكر ابن حزم رحمه الله السلف القائلين بوجوب الخروج على غير العدل إن كان أهل الحق في عصابة يمكنهم الدفع، ولم ييأسوا من الظفر، أما إذا كانوا في عدد لا يرجون لقلتهم وضعفهم بظفر كانوا في سعة من ترك التغيير باليد. والقائلون بهذا المذهب هم: علي بن أبي طالب وكل من معه من الصحابة، وأم المؤمنين عائشة، وطلحة، والزبير، وكل من كان معهم من الصحابة، ومعاوية، وعمرو، والنعمان بن بشير، وغيرهم ممن معهم⇐

٨) فهل يلزم من كلامنا السابق أنّ العلاقة بين المسلمين وبين الأنظمة الكافرة ينبغي أن تكون علاقة قتال؟ بالطبع كلا، فالقرار المرتبط بهذا الموضوع يتعلق بالقدرة،

⇐ من الصحابة، وعبدالله بن الزبير، ومحمد والحسين ابنا علي، وبقية الصحابة من المهاجرين والأنصار، ومن قام على الفاسق الحجاج -هذا لفظ ابن حزم- ومن والاه من الصحابة كأنس بن مالك رضي الله عنهم أجمعين. ومن التابعين: عبدالرحمن بن أبي ليلى، وسعيد بن جبير، وأبو البحتري الطائي، وعطاء السلمي الأزدي، والحسن البصري، ومالك بن دينار، ومسلم بن يسار، وأبو الجوزاء، والشعبي، وعبدالله بن غالب... وغيرهم. ثم قال ابن حزم: «وهو الذي تدل عليه أقوال الفقهاء كأبي حنيفة، والحسن بن حي، وشريك، ومالك، والشافعي، وداود وأصحابهم. فإن كل مَن ذكرنا من قديم وحديث إما ناطق بذلك في فتاواه وإما فاعل لذلك بسل سيفه في إنكار ما رأوه منكراً» انظر الفصل ٥/١٩-٢٨. وأعود فأقول: هذا في الحاكم الفاسق أو الظالم، و مع ذلك، فأنا لست بصدد ترجيح قول على قول. وإنما أقرر قاعدة أصولية مهمة: وهي أنّه -وبعد هذا السرد للعلماء القائلين بجواز الخروج على الفاسق- لا يجوز لأحد أن يدّعي بأن عقيدة السلف* في هذه المسألة عدم جواز الخروج. ومن ادّعى هذا فإنه مزوِّر، مشوِّه لعقيدة السلف*، و«يسرحنوا في ارتغائه». وأما ما قاله الطحاوي رحمه الله: «ولا نرى جواز الخروج...» فإن هذه رؤيته هو، وترجيحه هو. ورؤيته وترجيحه ليسا مُلزِمين للأمة. وعقيدة الطحاوي* هي عقيدة الطحاوي*، يؤخذ منها ويُردّ عليها. وخلاصة الأمر: أنّ الاجماع منقوض، **فليخضع البحث -إذاً- للنقاش والترجيح من دون دعاوى واتهامات.**

* كذا قلتُ، والحق أنّ هذا الموضوع ليس من العقائد، بل هو من الأحكام الشرعية، فالتعبير عنه «بالعقيدة» خطأ.

والإعداد...

ولكن يلزم من هذا الكلام وجوب بيان حقائق الإسلام جميعها، وأركان التوحيد كلها، وعدم إخفاء أو إغفال ركن منها.

على المسلمين أنْ يكفروا بالطاغوت، ويعلنوا ذلك، فإنّ الكفر به هو الركن الركين في هذا الدين، **حيث لا يُقبل إيمان قبل الكفر بالطاغوت:** ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وقال تعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل: ٣٦] وهل هناك طاغوت أشدُّ طغياناً من الحاكم بغير ما أنزل الله؟

قال ابن عبدالوهاب رحمه الله: «فأمّا صفة الكفر بالطاغوت، فأن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها، وتبغضها، وتُكفِّر أهلها وتعاديهم»(١).

إنّ هذا الكلام يُلزِمُ المسلمَ، بما لزم رسولَ الله ﷺ

(١) مجموعة الفتاوى والرسائل والأجوبة.

عندما قال له ربُّه: ﴿ فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾[الفرقان: ٥٢].

ويُلزِمه بإعلان الرفض للواقع القائم كما أعلنه رسولُنا ﷺ ﴿ لكم دينكم ولي دين ﴾[الكافرون: ٦].

ويُلزِمه ببيان المفاصلة والإشعار بالبراءة، من الأنظمة التي تُنازِعُ الله أخصَّ خصوصية له، ألا وهي الحكم وذلك لارتباطها بتوحيد الإلاهية: ﴿إنِ الحكم إلا لله﴾ [يوسف: ٤٠].

قال تعالى: ﴿قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم، وأُمرت أن أكون من المؤمنين. وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥]

نعم، إنّ هذا الكلام يُلزِم المسلم بكل ما تقدَّم، حتى لا تُميَّع الأمور، وتضيع الحقائق على الناس، وحتى يتمايز الناس، ويفترق فسطاط الإيمان عن فسطاط الكفر.

فكيف بك -وبعد كل هذا- بمن لا يُبيِّن وبمن

لا يوالي ولا يعادي على أساس عقيدة التوحيد، بل يُطلق لسانه في أعراض المسلمين ونواياهم، ويصفهم بما تصفهم به الجاهلية[1].

وهو مع ذلك إن سألته عن الحكم الشرعي فيمن لا يحكم بما أنزل الله، تورَّع وتوقَّف! فسبحان خالقه ما أشدَّ ورعه وتقواه! «يا ذا الورع البارد يكفي...»

والخلاصة: **إنّ عدم القتال، لا يعني ترك البيان.**

٩) **ونعود الآن إلى السؤالين اللذين افتتحنا بهما هذا المبحث، وهما:**

هل يفكر «السلفيون» في موضوع التغيير تفكيراً جدياً؟

وإذا كانوا كذلك: فكيف سيستأنفون الحياة الإسلامية؟

أمّا إنهم يُفكِّرون، فلا أعتقد، واعتقادي ليس نابعاً من هوى، فكل ما سبق دليل على هذا الاعتقاد. ثُمَّ ما ظنُّك بقوم يرون أنّ السياسة «تياسة»، وأن الفقه ترك فقه الواقع؟ هل تظن أنّ لديهم نيَّةً للتغيير أو جديّة وسعياً؟

---

(١) سيأتي التعليق على هذه النقطة في مبحث لاحق.

ولكنني -وقبل الانتقال إلى السؤال الثاني- أذكر للأمانة أن لدى «السلفيين» نيّة للتغيير! أهدافهم منه تتمثل فيما يلي:

- تغيير منهج السلف!
- تغيير مذاهب الناس، وإلزامهم بمذاهب جديدة!
- تغيير بدع العبادات!
- تغيير شرك القبور!

والعجيب أن «السلفي» يرى في هذه الأهداف غاية طموحه، وهو عندما يلتزم -مثلاً- بزيٍّ معين يشعر بأنّه قد استوفى المطلوب، وحقّق شرط الصلاح، وهو بهذا الشعور يستنفدُ طاقته التي كان ينبغي أنْ تُوجَّه إلى قضايا أخرى، ويتجمَّد عند القمَّة -في نظره- راضياً بما حققه.

إنّها حلاوة الشعور بالغربة، التي وعد الرسول ﷺ عليها بالدرجات العُلى، هكذا يظُنّ ويأمل.

إنّ الغربة الحقيقية، حمل منهج السلف -حيث الناس هاجرة له- وعدم الاقتصار على بعض هيئاتهم وتصرفاتهم. وإنّ منهج السلف هو أُسلوبهم في التفكير والفهم، وطريقتهم في التفاعل مع قضايا عصرهم،

وسبيلهم في حمل الإسلام والحركة به.

١٠) ونعود إلى السؤال الثاني، وهو: **كيف سيستأنف «السلفيون» الحياة الإسلامية؟**[1]

في الحقيقة، لا يوجد منهج واضح يُبيِّنون فيه -حتى على طريقتهم- كيف سيستأنفون الحياة الإسلامية.

والمتوفر بين أيدينا أساسان يذكرهما «السلفيون» كثيراً، هما:

أ- التصفية والتنقية لحقيقة الإسلام... والعودة بالأمة إلى العقيدة الحقّة الصافية[2]...

ب- التربية والاعداد والالتزام بأحكام الإسلام المستمدّة من هذه العقيدة[3]...

وكما ترى فإنّ هذين الأساسين لا يكفيان في توضيح الكيفية.

(١) السؤال للمجاراة فقط، فقد تبيّن لنا أن لا كيفية.
(٢) العقيدة الحقّة الصافية تساوي في حسِّ «السلفي» الأسماء والصفات، وشرك القبور....
(٣) انظر: لا دفاعاً... ص١٤.

فإلى متى ستستمر التصفية والتنقية ؛ علماً بأنّ التصفية غدت مهنة يُقتات بها ، ولم تعد هدفاً دعوياً يُتحرك به بين الناس . ثم إنّنا لا نشعر من الواقع أنّ هناك تربية وإعداداً مقصودان ، وإنّما نرى أفراداً تُؤلّف بينهم مجموعة من المسائل .

وبعد أنْ يذكر الأُستاذ محمد شقرة هذين الأساسين يقول : «وهي بهذا المفهوم تستبعد من حسابها التطلع النَّهم إلى أنظمة الحكم ورؤوس الحكام ، وتضع في حسبانها ، -أساساً- إصلاح الأمّة إصلاحاً ينتهي بها بنفسها إلى أن يكون الإسلام هو المهيمن على الإنسان والحياة ، ليعودَ الحكم بالإسلام تاجاً يُزيِّنُ هامات بلاد المسلمين وديارهم»[1] .

مُنىً إنْ تكن حقاً تكن أحسنَ المُنى

وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

---

(١) السابق ص :١٤

وإلا فقل لي -بالله عليك- كيف سينتهي الحال بالأمة من خلال إصلاحها على الطريقة «السلفية» إلى أنْ يكون الإسلام هو المُهيمن على الإنسان والحياة ، ليعود الحكم؟!. . الخ هذه الأماني ، كيف ستنتهي الأمّة إلى ذلك إذا أخذت بعين الاعتبار أنْ لا وجود لفعل الاصلاح ولا للمصلحين؟ وإذا نظرت في حال العالم اليوم ، والقوى المتحكِّمة فيه ، وفعلها النَّشِط في حرب الإسلام ، والالتفاف عليه؟

ولقد صدق من قال :

متى يبلغُ البنيانُ يوماً تمامه

إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

١١) وأخيراً ، فإنّ «السلفيين» مطالبون بمراجعة أنفسهم في موضوع التغيير ، والاشتغال في الواقع .

والمراجعة تكون بأن يعودوا إلى دراسة فقه السلف في هذه المسألة كي يصلوا- إن شاء الله- إلى الحق .

وإلا فليبقوا على ما هم عليه دون تحميل السَّلف وأهل السنة وِزْرَ مذهبهم، وليُسمُّوا الأشياء بأسمائها، وليكُفُّوا ألسنتهم عن عباد الله العاملين.

وإذا أراد «السلفيون» استئناف الحياة الإسلامية -حقيقة لا دعوى- فإنَّهم مطالبون بتحديد موقفهم مما يلي:

- **بأيِّ شيء يبدؤون؛ أو ما هو فقههم للأولويات؟**
- **ما هو وصفهم للواقع؟ أو ما هي أحكام الديار عندهم؟**
- **ما هو فهمهم لتوحيد الإلاهية؟ وما هو موقفهم من المنحرف فيه؟**
- **ما هي أنواع الطاغوت؟وما هو مقتضى الكفر به؟**

وليكونوا حريصين عند الإجابة، على بيان موقف السلف الحقيقي منها. نسأل الله لنا ولهم الهداية.



((السلفيون)) المبتدِعة أو ((السلفيون)) والبدع، والمخالفات

«إنّ لكل شيء دولة حتى إنّ للحمق على الحلم دولة»◆

لا تخفى غرابة هذا العنوان! فكيف يكون «السلفيون» مبتدعة؟ والكل يعلم موقف «السلفيين» من البدع، وتشنيعهم على مرتكبيها. لكن -وللأسف- هذا الذي حصل! لقد حارب «السلفيون» بدعاً كانت منتشرة في الأمة، وكانوا السبب الرئيس في إزالتها، فجزاهم الله خيراً، لكنّهم وقعوا

◆ البدع والنهي عنها/ ٧٥.

في بدع أخرى، قد تكون أخطر وأدهى! والملاحظ أنهم لم يستتروا ببدعتهم دون الناس، بل جهروا بها، وكثرت دعوتهم ودعاتهم إليها، وهاجموا من لا يلتقي معهم عليها.

وقد رأيت ضرورة عقد هذا المبحث لبيان البدع والمخالفات التي وقع فيها «السلفيون»، لعل في ذلك تحذيراً لمن كان له قلب من الوقوع فيها.

وقد قال أبو إدريس الخولاني: «**لأن أسمع بنار تحترق في ناحية المسجد أحب إليَّ من أنْ أسمع ببدعة ليس لها مُغيِّر، وما أحدثت أمّة في دينها بدعة إلا رفع الله بها عنهم سنّة**»[1].

٢) والخطورة في هذه البدع، أنّها تصدر عن قوم معروفين بمحاربتهم للبدع، ولذلك لا ينتبه إليها أحد، بل إنّه لا يخطر على بال إنسان أنْ يربط بين «السلفي» وبين البدع!

(١) السابق/ ٣٦.

وإلى هذه الدقيقة أشار ابن تيمية رحمه الله فقال[1]:

«فإذا كان... أقوام يبتدعون بدعاً تخالف الكتاب، ويَلْبسونها على النّاس، ولم تُبيَّن للناس، فسد أمر الكتاب، وبُدِّلَ الدين كما فسد دين أهل الكتاب قبلنا بما وقع فيه من التبديل الذي لم يُنكَر على أهله، وإذا كان أقوام ليسوا منافقين، لكنّهم سمّاعون للمنافقين! قد التبس عليهم أمرهم حتى ظنُّوا قولهم حقاً؛ وهو مخالف للكتاب، وصاروا دعاةً إلى بدع المنافقين، ... فلابُدَّ أيضاً من بيان حال هؤلاء؛ بل الفتنة بحال هؤلاء أعظم، فإنّ فيهم إيماناً يوجب موالاتهم، وقد دخلوا في بدع من بدع المنافقين التي تُفسد الدين، فلا بدَّ من التحذير من تلك البدع، **وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة من منافق، لكن قالوها ظانّين أنّها هدى وأنّها خير، وأنّها دين، ولو لم تكن كذلك لوجب بيان**

(١) رأيت من الفائدة أن أذكر الفقرة كلها. وأنبّهُ بشدة إلى أنّ كلمة «المنافقون» حيث وردت فلا يُقصد بها الذين أتكلم عنهم، فمحلُّ الشاهد من الفقرة اقتداء الناس ببدع أهل العلم الذين وقعوا في البدع تأسيساً أو اقتداءً بالمنافقين من غير المسلمين، وسيأتي بيان بعضها.

حالها»[1] .

٣) لقد زادت الشُقَّةُ بين «السلفيين» وبين أهل السنّة، بسبب ما ابتدعوا . ولكن من الحق أنْ نقول: إنّ «السلفيين» -على ما فيهم من بدع ومخالفات- يتوخون المنهج السليم في أصل دعوتهم، ويحاولون التقرب إلى منهج أهل السنّة، وفقه السَّلف قدر استطاعتهم.[2] فهم -بذلك- فيما وافقوا فيه أهل السنّة من أهل السنّة، وفيما ابتدعوا فيه وخالفوا ليسوا من أهل السنّة، ولا على منهج السلف، أي إنَّهم -بعبارتهم- : **ليسوا «سلفيين» فيما خالفوا فيه .**

٤) البدع والمخالفات التي وقع فيها «السلفيون» :

١ - اللقاء مع الناس أو مفارقتهم على أساس الفتاوى في الفروع الفقهية التي يسوغ فيه الخلاف، أو على أساس المباحات .

(١) مجموع الفتاوى : ٢٨/٢٣٣ .

(٢) لكن بينتهم العقلية، وضيق أفقهم، وغير ذلك . . يخونهم فيأتون بالعجائب .

قال ابن تيمية رحمه الله : « ويُستحب للرجل أنْ يقصد إلى تأليف هذه القلوب، بترك هذه المستحبَّات، لأنّ مصلحة التأليف في الدين، أعظم من مصلحة فعل مثل هذا، كما ترك النبي ﷺ تغيير بناء البيت لما رأى في ابقائه من تأليف القلوب، وكما أنكر ابن مسعود رضي الله عنه على عثمان رضي الله تعالى عنه إتمام الصلاة في السفر ثم صلّى خلفه مُتمّاً وقال: «الخلاف شر»[1] .

فكيف بمن جعل بعض المستحبات، وبعض المسائل الفقهية، الأصلَ الذي لابُدّ من البدء به قبل كل شيء؟ فكان ذلك سبباً في تفريق المسلمين، والإساءة إليهم .

٢- والعجيب أنّهم في المقابل تركوا ذِكْرَ الأصول الحقيقية، مثل بعض أصول التوحيد ومقتضياته كتوحيد الإلاهية، وما يتعلّق به من وجوب الحكم بما أنزل الله . فلماذا هذا التناقض؟!

٣- **تجزيء مفهوم توحيد الإلاهية**، بل تجزيء مفهوم

(١) القواعد النورانية/٤٣ .

التوحيد كُلّه ، وعرضهم له بما يُشعر بحصره في الأسماء والصفات ، وتناول ما يتعلق منه بشرك القبور ، وتحكيم المذاهب الفقهية[1] ، وتقزيم مفهوم الولاء والبراء ، إلاّ في حدود البراءة من المتصوفة في «نيجيريا» ، أو من شركيات ابن عربي (ت ٦٣٦) ، وجهليات أبي جهل ، أماغير ذلك فليس هذا وقته !

٤- الترويج للعقيدة الجبرية :

الجبريَّةُ التي يُروِّج لها «السلفيون» ، ليست الجبرية التاريخية بمصطلحاتها وقواعدها ، التي تُصرِّح بأنّ الإنسان : ريشة في مهبِّ الريح ! وانّه لا حول له ولا قوة لأنّه مُسيَّرٌ غير مخيَّر.

ليست هذه هي الجبرية التي ابتدعوها أخيراً ، وإنما جبريَّتُهم من نوع آخر ، يمكن أن نطلق عليها : **الجبرية الاجتماعية!** تلك الجبريةالتي تسلب الإنسانَ دورَه في صناعة التاريخ ، الجبرية التي سمّاها مالك بن نبي رحمه الله :

(١) تحكيم المذهب الفقهي على حساب النّص يعارض تجريد الاتباع .

ذهان الاستحالة ؛ أي **الذي يحكم على الأشياء باستحالة حدوثها ، مما يقود الإنسان إلى الشلل .**

الجبرية التي تسلب الأفراد **قلق الحاجة إلى التغيير ،** وتدفعهم إلى انتظار -ويسرور- تحقُّق الوعود النبوية التي بَشَّرت بقيام الخلافة ، وانتشار نور الإسلام في أرجاء الأرض .

وأخيراً ، إنّها الجبرية التي تصوِّر التاريخ **على أنّه أقدار حتميَّة لا يَدَ للإنسان فيها .**

وللحقيقة ، فإنّ هذه البدعة أو المخالفة الخطيرة داهية جديدة ، لم نكن نعرفها عن «السلفيين» . فلقد كنا نعتقد أنّ «السلفيين» ينطلقون في عملهم من منهج آمنوا به ، وارتضوه لأنفسهم ، أمّا أنْ ينتقلوا إلى مرحلة التسويغ ؛ تسويغ تقصيرهم بأنّ مشيئة الله لم يحن وقتها ، فهذه طآمّة لم نكن نتوقعها .

لقد فوجئت وأنا أقرأ كتاب الأستاذ محمد شقرة «هي السلفية» بهذه المعلومات الخطيرة ، والتي تطلب من الناس أنْ

ينتظروا تحقُّق الوعد الإلهي الوارد في قوله تعالى: ﴿يُريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلاّ أن يُتمّ نوره ولو كره الكافرون﴾ [التوبة: ٣٢]

ولأنّني لست معنياً في هذا البحث بمناقشة الأستاذ في كتابه، والردّ على إيراداته، فإنّني سأكتفي بنقل بعض كلماته.

قال الأستاذ: «. . . ولا نعجل على أنفسنا بأمرٍ **قضى الله فيه فكان**، ولن يكون إلاّ كما قضى»[1].

وقال: «. . . . إلى أن يأذن الله سبحانه بإرادته أن يكون لهذه الأمّة في آخر أمرها، خلافة على منهاج النبوة»[2].

وقال -ويا لهول ماقال- : «ولقد علمت الجنّة والإنس أجمعون أن لو شاء الله سبحانه أن يكون للمسلمين دولة في هذا القرن لكانت، ولكن **أين سيقع خبر المصطفى** ﷺ:

(١) هي السلفية . ./المقامة الخامسة/ ١٧٦ . والمقامة أسلوب أدبي، شاع في وقت من الأوقات، وطريقة الأستاذ قريبة من أسلوب المقامات! ومن أشهرها مقامات بديع الزمان الهمذاني.

(٢) السابق/ المقامة الخامسة/ ١٧٥ .

الذي أخبر فيه بأنّ دولة الخلافة هي آخر مراحل العمل السياسي لهذه الأمّة . . . إذاً، فليس يُطلب من الأمّة الآن إلاّ أن تُهيِّأ نفسَها لموعود ربّها سبحانه، بتحقيق دولة الخلافة»[1].

يتعامل الأستاذ مع الآيات والأحاديث التي تُبشِّر بأنّ المستقبل للإسلام، بفهم خاطيء لقدر الله تعالى. فقد سَرَد بعض الأحاديث المُبشِّرات، في سياق التدليل على عدم العجلة على قضاء الله!

والفهم الصحيح لهذه الأحاديث وأمثالها، لا يَعني أن يقبع المسلم منتظراً تحقُّقها، بل إنّها تدعوه ليُحقق الأسباب المؤدِّية إلى مضامينها. إنّها تصف سُنن الله، والمطلوب من المسلم أن يتعامل مع السنن لا أنْ يعاندها، وهذه الأحاديث تطلب من المسلم أن يتعرض لمضامينها، كأنّها تقول له: إصنع الأسباب التي تُؤدي إلى تلك الحتميّات[2].

(١) السابق/ نفس المقامة/١٨٥ .

(٢) من أراد التفصيل في هذا الموضوع، فليعد إلى كتاب «الإنسان حين يكون كلاً وحين يكون عدلاً» للأستاذ جودت سعيد، وليراجع كتبه الأخرى. وليطالع فصل «منهج للبشر» من «هذا الدين» ⟸

بقيت ملحوظتان :

الأولى : قد يقال إنّ الاستاذ ليس حجَّة على «السلفيين» .

فأقول نعم ، لكنّنا لم نسمع أنّهم خالفوه فيما ذكره . وما دام الأستاذ معروفاً لدى الناس بانّه مرجع «للسلفيين» فإنّ كلامه يمثلهم ، حتى يثبت العكس .

الثانية : أنَّ ما ذكرته عن الجبرية الاجتماعية في كلام الأستاذ ، يُستخرج بالتأمل والقراءة المدقّقة ، لأنّ الأستاذ يَستخدم الاستدراكات المُوهِمة ، ويُدخِل القارئ في مغالطات ومتناقضات تُعسِّر عليه قطفَ النتائج الواضحة . وهذا الأسلوب حَمّال وجوه ، يلجأ إليه كثير من الكُتّاب ، لِيَسْلَمُوا من الإحراج عند المراجعة . ولكنّهم -في الوقت نفسه- يكونون قد أوصلوا للقارئ المفهوم الذي يريدون ، دون أنْ ينتبه القارئُ لذلك .

إنّ قراءة كلام الأستاذ تدفعك إلى استحضار كثير من

⇐ لسيد قطب رحمه الله رحمة واسعة . ثم اقرأ هذه الجملة لمالك بن نبي رحمه الله وقارن بما قرأت : «إذا تحرك الإنسان تحرك المجتمع والتاريخ ، وإذا سَكَنَ سَكَنَ المجتمع والتاريخ» . تأملات ص ١٢٥ .

الصور التي قرأنا عنها ، فتتذكر أولئك الذين كانوا يحتجُّون بالقدر على تسلُّط الأمراء الظلمة ، فإنّ الأمير -كما يَدَّعون- تَمكَّن بقدر الله ، ولولا أنّ الله يريده أميراً لما مَكَّن له ، فاسمعوا وأطيعوا -إذاً- أيها الناس .

وتتذكَّر بعض المتصوفة الذين عَدُّوا الاستعمار من قدر الله ، فلم يقاوموه ، وطلبوا من الشعب أن لا يقاومه ، ثم قبعوا في زواياهم ينتظرون المهديّ !

وتتذكر المُحتجِّين بالقدر على ترك العمل ، وإهمال الأسباب[1] . . . .

(١) ومقتضى كلام الأستاذ محمد شقرة ، ترك العمل حتى يحين قدر الله الذي بشر به سبحانه في القرآن ، وأخبر عنه نبيه ﷺ ، وهذه هي الجبريّة بلحمها وشحمها! ومن أراد التثبت مما أقول فليراجع الكتاب المشار إليه ، وليقرأ المقامة الخامسة من ص١٦١-١٨٩ . وأكتفي هنابنقلِ كلام نفيس للدكتور عمرِ الأشقر يردُّ فيه على المحتجّين بالقدر : «فالله قدرِ النتائج وأسبابها ، ولم يقدر المسببات من غير أسباب ، فمن زعم أن الله قدر النتائج والمسببات من غير مقدماتها فقد أعظم على الله الفرية» . . . « إن الأخذ بالأسباب هو من قدر الله تبارك وتعالى ، وليس مناقضاً للقدر ولا منافياً له . وقد فقّه الرسولِ ﷺ أصحابه بمعنى القدر ، وأنّه لا يوجب ترك العمل ، بل يوجب الجدّ والاجتهاد فيه لبلوغ ما يطمح الإنسان في نيله وتحقيقه . . . وقال بعض الصحابة الذين فقهوا عن الرسول مراده لما سمع أحاديث القدر : « ما كنت بأشد اجتهاداً مني الآن» القضاء والقدر/٨٢-٨٦ . ⇐

رحم الله محمد بن وضّاح فقد أصاب عندما قال: **«إنّما هلكت بنو إسرائيل على أيدي قُرَّائهم وفقهائهم، وستهلك هذه الأمة على أيدي قرائها وفقهائها»**[1].

٥) **عدم التفاعل مع الواقع**، والتقصير في واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمفهومه الشامل، وتجنُّبُ العمل السياسي الصحيح المرتبط بأصول أهل السنّة، والدعوة إلى كل ذلك!

وهذه بدع تَركيَّة، وهي معلومةٌ مشهودةٌ ينطق بها حال «السلفيين»، وقد كنت سأكتفي بذكرها، لولا أنّ ما قرأته في كتاب الأستاذ محمد شقرة «هي السلفية...» يُلْزِمُني بالإشارة إلى بعض البدَعِ والمخالفات الخطيرة التي وردت في كتابه، والتي نَعُدُّ «السلفيين» ناطقين بها، حتى يثبت العكس.

أ- ينتقد الأستاذ السلوك السياسي المعاصر بنظرياته التي

⇐ وأقول: ثم ما أدرى الأستاذ أنه إذا اجتهد المسلمون في هذه الأزمان فإنْ مضمون الأحاديث لن يتحقق؟!

(١) البدع والنهي عنها/٥٩.

تشرد بعيداً عن الضوابط الشرعية [ص ١٦١]، ويلوم المسلمين الذين وقعوا في مصيدته فاقترفوا مخالفات شرعية. ونحن نتفق معه على هذا، ونلوم، مثله، من لامهم. لكن أين البديل؟ وهل فساد العمل السياسي وخطأ المسلمين الذين سقطوا فيه، يعني أن لا نبحث عن العمل السياسي الصحيح المنضبط بضوابط الشريعة؟ وهل نبقى بعيدين عنه حتى (تكون للإسلام دولة)؟ [ص١٧٣]. وكيف ستقوم الدولة؟

ب- يعتقد الأستاذ أنّ تنقية العقيدة، وتربية الأمّة[1]، ستنتهي بنا إلى الدولة؟! [ص١٧٤]. هذا هو البديل الذي يطلب الأستاذ من الأمة الانكباب عليه، ولم يضع بديلاً مقابلاً للمنكر الذي رفضه[2]، مثل أن يبيِّنَ العمل السياسي الصحيح، الذي هو التفاعل مع الواقع والاطلاع عليه، والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في

(١) ليس هناك تنقية ولا تربية!

(٢) قال ابن تيمية رحمه الله: «بل الدين: هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا قوام لأحدهما إلا بصاحبه، فلا يُنهى عن منكر، ولا يؤمر بمعروف يُغني عنه، كما يؤمر بعبادة الله، ويُنهى عن عبادة ما سواه» اقتضاء الصراط المستقيم ص٢٩٧.

كل المجالات، والدعوة الجادة الموجَّهَة من أجل تحقيق الإسلام في الحياة، أليس هذا عملاً سياسياً؟ ألم تكن هذه السياسة هي التي سَيَّر عليها النبيُّ ﷺ أصحابَه؟

ج- ويخرج الأستاذ بنتيجة خطيرة، نظراً للسلوك السياسي الفاسد، ومراعاةً للمسار الذي حدَّدته الأخبار النبوية للأمة[1]. فيقول: «**أحسبُ أن مقولة: (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) كلمة حكيمةٌ تصلح لزماننا ...**»[2].

لو قلت: إنَّ الأستاذ قال قولاً إدّاً، تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشقُّ الأرض، وتخرُّ الجبال هدّاً، لما جاوزتُ الحقيقة.

إنّ هذه الكلمة لن تكون كلمة حكيمة في زمن من الأزمان، فما علاقة فساد السلوك السياسي بصحة هذه الكلمة أو فسادها؟

(١) إنها الجبرية التي أشرنا إليها سابقاً.
(٢) هي السلفية ص: ١٧٢.

ليكن السلوك السياسي على أيِّ صورة، لكنها ستبقى كلمةٌ تنطق بالكفر وتُمثّله، وتُبَشِّرُ بالعَلمانية[1] وتدعو إليها.

إنّ فساد السلوك السياسي لا يُصحِّحُ باطلاً، ولا يُبطِلُ حقاً.

إنّ هذه الكلمة بمفهومها المُستقر والمتداول، تُخالف قولَ الله تعالى: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠].

لماذا لم يقل الأستاذ: لِيكن السلوك السياسي صحيحاً يعمل لنقض مقولة (دع ما لقيصر لقيصر وما لله لله) التي يُروِّج لها القياصرة؟ بل كنا نرضى منه أقل من ذلك؛ كنا نرضى منه أن يقول: لن نخالط السلوك السياسي مادام على ما هو عليه.

أمّا أنْ ينطق بهذه الكلمة المُكفِّرَة[2] ويُزكيَها، فطامةٌ لم تكن على البال، وعلى الأستاذ أنْ يتذكر بأنّنا مُتَعَبَّدون

(١) العَلمانية هي فصل الدين عن الحياة، ومن ذلك فصل الدين عن السياسة.
(٢) كون الفعل أو القول كفراً، لا يقتضي كفر فاعله أو قائله. لأنه قد يكون متأوّلاً أو جاهلاً، وفي المسألة تفصيل من أراده فليراجع مجموع الفتاوى لابن تيمية رحمه الله ٢٣/٣٤٥، ٣٥/١٦٥-١٦٦.

بألفاظنا، فعليه -والحالة هذه- أنْ يستغفر الله ويتوب إليه، ويُصوِّب الخطأ الذي وقع فيه، حتى لا يتبعه على ذلك من يتأثر به.

قال الرافعيُّ المُلْهَم وهو يتحدث عن الفكرة[1] وثبوت وصفها على مرِّ الأزمان: «فما توصَف من بَعْدُ إلاّ كما وُصفَت من قَبْلُ ما دام موقعها في النفس لم يتغير، ولا نظنه سيأتي يومٌ يُذكَرُ فيه إبليس فيقال: رضي الله عنه»[2].

أما نحن، فهكذا كنّا نظنُّ، لكنّه جاء اليوم الذي يُقال فيه عن كلمة الكفر: إنّها كلمة حكيمة.

٦) تلقيب أهل الحقّ بألقاب غريبة، تنفيراً للناس عن اتباعهم.

مثل قولهم «جماعات الغلو»[3] «يُذكِّرنا بالطوائف المارقة عن الإسلام»[4] «فهي التي لا شك أمكنت للتفكير السّادي المُنحَرِف الخبيث»[5].

---

(١) ومقولة «دع ما لقيصر لقيصر ...» إلخ، فكرة.

(٢) تحت راية القرآن ص٥.

(٣ - ٤ - ٥) لا دفاعاً عن السلفية .... ص ١٣.

وهم بهذا يُشابهون الجاهلية -القديمة والمعاصرة- بوصف المسلمين بمثل هذه الألقاب، «فقد كان أهل الجاهلية يُلَقِّبون من خرج عن دينهم بالصابيء، كما كانوا يُسَمُّون رسول الله ﷺ بذلك ... تنفيراً للناس عن اتباع غير سبيلهم، وهكذا تجد كثيراً من هذه الأمة يُطلقون على من خالفهم في بِدَعهم وأهوائهم أسماء مكروهة للناس»[1].

٧) رَمْيُ المؤمنين بطلب العُلُوِّ في الأرض.

«غير ناظرين أو طامعين في تحقيق أحلام تراود أخيلة الجهلاء والمفسدين من السيطرة على سُدَّة الحكم أو الاطاحة بالحكام»[2].

وفي هذه مشابهة للجاهلية[3] قال تعالى: ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء في الأرض وما نحن لكما بمؤمنين﴾ [يونس: ٧٨].

---

(١) مسائل الجاهلية التي خالف فيها رسول الله ﷺ أهل الجاهلية ص ٦٥.

(٢) لا دفاعاً ... ص ١٤.

(٣) انظر مسائل الجاهلية ... ص ٦٩.

٨) **تناقض مذهبهم لمّا تركوا الحق**[١] .

فهم يدعون إلى التوحيد ، ويرفعون لواءه ، ثم يُخالفون شموله ﴿فهم في أمرٍ مريج﴾ [سورة ق : ٥]

وهذا يؤدي إلى لبس الحق بالباطل وكتمانه فراراً من التناقض ، قال تعالى : ﴿يا أهل الكتاب لِمَ تلبسون الحقَّ بالباطل وتكتمون الحقَّ وأنتم تعلمون﴾ [آل عمران : ٧١].

٩- **السلبية المطلقة** ، فلا عمل لكثير منهم إلا نقد أعمال الآخرين . ولا يكادون يذكرون أحداً بخير ، وهذا منافٍ للعدل الذي هو من صفات أهل السُّنَّة .

وهم مع ذلك مُبتذَلون في نقدهم ، لا يراعون حقَّ الإسلام ، ولا أدب الحوار . ونظرة سريعة في كتب كثير منهم تُنبئك عن المستوى الأخلاقي لهم .

شرُّ الورى من بعيب الناس مشتغل
مثل الذباب يُراعي موضعَ العلل

---

(١) المرجع السابق ص ٧١ .

١٠- **حرب على العلماء** ، أعداء للدعاة ، مداهنون للفجرة والعصاة . يتتبعون المسلم ويحصون حركاته وسكناته ، وسرعان ما يؤلفون الكتب في شتمه . وقد صدق من قال فيهم إنَّهم : **مرجئة مع الحكام خوارج مع المسلمين** . وهي شعبة من شعب مذهب الخوارج .

١١- **التحكم في الرأي واتباع الهوى فيه** ، فالمذموم من غيرهم حسنة عندهم ، والعكس .